المبحث الرابع نظرة القرآن الحضارية من خلال أسماء سوره

وفيه ثلاث محاور

obeikandl.com

obeikandl.com

إن لكل شيء إقبالا وإدبارا؛ وإن لهذا
الدين إقبالا وإدبارا

حديث نبوي

تمهيد

إن أسماء سور القرآن الكريم تدل مع إمعان النظر دلالة واضحة على الهيكل الحضاري للإسلام فإن عناصر الحضارة (الثانوية)* حسبما ارتآه ويل درانت (Will Durant أربع هي: الشؤون الاقتصادية و النظام السياسي و التقاليد الأخلاقية والفنون الجميلة.[1]

إذا لاحظنا المسئلة من هذه الناحية وجدنا أن أسماء السور القرآنية تعكس هيكل الحضارة القرآنية بصورة ملموسة واضحة لأن أسماء السور لم تترك جانبا من جوانب الحياة المادية والروحية، الفردية والاجتماعية وغيرها إلا وألم بها فأسماء السور فهرست صغير أو قل بكلمة أخرى صورة فطوغرافية جامعة لعناوين ورموز رسالات القرآن الخالدة العالمية التي قدمها للبشرية.

إن أسماء السور كوحدة قرآنية تتمحور بما تنم عنه من المعاني في محاور رئيسية ثلاث تدل تلك المحاور من ناحية على نظرة القرآن

---

* لعل القارئ الكريم يتذكر أن تسمية هذه العناصر بالعناصر الثانوية إنما هي وجهة نظرنا.

1) Will Durant Medeniyetin Temelleri Türkç. Nejat Muallimoğlu Birleik yay. İst. 1996 s. 13

الحضارية وتضم من ناحية أخرى بين جنباتها منضما بعضها مع البعض الدلالة على أكثر جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية و العسكرية والأخلاقية من الاتجاه القرآني كما تتضمن الكثير من ملابسات الكون والطبيعة والبيئة والحياة و غيرها وكما تنم تلك التسميات عن مقاصد القرآن الأربع- التوحيد والرسالة والحشر والعدالة المنبثة في جميع جوانب القرآن[1] التي يهدف القرآن تثبيتها في العقول والقلوب فينسجم بذلك الأسماء مع المسميات انسجاما تاما يدل على أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير حيث إن الإيتاء في جوّ مقتم بغبار الجهل ودخان الجحد ووسط مظلم بدياجير الأساطير وغياهب الأباطيل مثل ذلك الوسط الذي نزل فيه القرآن إن الإيتاء في ذاك الوسط بمجموعة من التسميات التي تضم بين جوانحها غالب صفحات الحياة مع تلك النظرة الدقيقة عن الكون والطبيعة لا يمكن إلا بتوقيف من طرف القدير الخبير الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء أو بإلهام منه سبحانه وسترى ذلك واضحا إن شاء الله.

وقبل العوم في غمار ما نحن بصدده لا بد من أن نبين أموراً لا بد منها:

١- إن القرآن من حيث إنه كتاب الله الوحيد الذي جاء لهداية البشر إلى سعادتي الدنيا والآخرة فهو ينبئ عن الربوبية والعبودية والأولى والأخرى والحياة و الممات والطاعة والمعصية وعن الأدلة التي

---

١) النورسي سعيد بديع الزمان، **رجتة العلماء**، مطبعة النور أنقره ١٩٥٨ ص ٩.

تدل على ربوبية الصانع من مشاهد الكون وتقلبات الحياة الطبيعية والإنسانية ويذكر تنظيم الحياة ويتركز على الأخلاق الحسنة وصلات العبد مع ربه وأسرته وذويه وسائر بنى جلدته، وبكلمة عابرة إن القرآن الكريم يذكر الوجود وموجده ويذكر خاصة هذا الكوكب الذي نعيش على ظهره ومن هو أعقل من فيه - وهو الإنس والجن - ووظائف الإنس الاستخلافية في تعميره ومسؤولياته تجاه ربه وأبناء جنسه وبيئته التي يعيش فيها.

القرآن في هذا الصدد يتناول جميع ما ذكر بأسلوب سهل مرن صالح لفهم كل طبقة وجماعة ومجتمع - كل حسب مستطاعه - ولا يخوض في مواضيعه تلك بأسلوب علمي متركب من الأصول والقواعد المعقدة، متكون من التحديدات والتعريفات العلمية المعضلة، مؤلف من العبارات العلمية المنغلقة التي لا يفهمها إلا الخاصة، ولا يصوغ القرآن مسائله في قالب المصطلحات العلمية والفنية المشكلة النابية، ولا يبوبها على الأبواب والفصول النائية، على حد تخصيص كل باب أو فصل بموضوع واحد كما نشاهد ذلك سائدا على طراز التأليف العلمي البشري قديما وحديثا، ولا يذكر ما يعتني به من الأمور المعرفية والأحوال الطبيعية والشؤون البيئوية والأوضاع الاجتماعية في صورة المسائل المقسمة إلى الأقسام والأنواع والفصول والأبواب، بل إنما يعرض المسائل عرضا ويتناول المسائل تناولا من غير تخصيص كل مقطع على حدة بمسائل محددة. فترى السورة القرآنية في تناولها لشتى المواضيع

المتداخلة والمسائل المتشابكة والمشاهد المتراكبة والمناظر المتآلفة تشبه الحديقة التي تشتمل على مختلف الأزهار ومتنوع الورود في مختلف الصور والهيآت. ويهتم القرآن أثناء ذلك بالعرض السهل المفهم الذي ينسجم مع الواقع والذي يهدف الوصول إلى ملا يين البشر من شتى المستويات في مآت العصور وشتى بقاع الأرض من شرقها إلى غربها من دون تفرقة بين الأقوام والشعوب. وفي سبيل هذا العرض لا يبالي القرآن بذكر النظرات العلمية أو الفلسفية أو الاجتماعية أوالفنية، بل يهملها إهمالا فان عرض تلك النظرات العلمية في صورتها الأكاديمية أو الاصطلاحية المعقدة التي تخاطب قطاعا خاصا من الإنسانية والتي يقتضي فهمها أن يكون لمخاطبيها مستوى علمي وثقافي وفكري بحيث لا يفهمها إلا ذلك القطاع الخاص إن ذاك العرض يتنافى مع رسالته العالمية الهادفة للوصول إلى جميع بني البشر عوامهم وخواصهم، علماءهم وجهالهم، متطوريهم ومتأخريهم، وحتى قل أذكيائهم وأغبيائهم. فمن هنا لا ترى في البيان القرآني المعجز محلا لتلك الأبواب والفصول والقواعد والأصول ولا ترى مناسبا مع هدفه تلك التحديدات والتعريفات والمصطلحات في ضمن ما اعتاده الأوساط العلمية من التبويبات والتنويعات والتقسيمات فعرضه كأسلوبه من خصائصه القرآنية الفريدة التي تختص به وحده ألا يعلم من أنزل وهو اللطيف الخبير.

٢- ثم إن السور القرآنية المنقولة إلينا بتواتر قطعي التي لا يجاريها ولا يدانيها في قطعيتها أي نص أو كتاب آخر تأخذ أسمائها إما من أول كلمتها[١] كما في: **ق وص**، أو كلمة ذكرت في أول جملها كما في: **الملك وفصلت**، وإما من بطل قصة غريبة ذكر فيها كما في: **النمل والبقرة ومريم ولقمان والروم**، وإما من اسم نبي ذكر فيها مجادلته مع قومه **كيونس ويوسف وهود ونوح**...، وإما من اسم يتبوأ موقعا هاما باعتبار ما مر فيه ذكره **كالنحل والعنكبوت والكهف والأعراف والفرقان والإسراء والشعراء والقصص والأحقاف**، وإما من ذكر مجموعة متجانسة فيها كما في: **الأنبياء**، و إما لملابسة أن ذكر فيها أحكام جنس أو أجناس **كالنساء والأنعام**.[٢] ومع

---

١) أجد هنا ضرورة للإعراب عن فكرة تناوبني بين حين وآخر حول تسميات بعض السور بأول كلمة وقعت في صدرها من نحو **تبارك وسبحان وحم وتبت وسبح** وهي أن أسماء تلك السور التي لم يرد لها اسم غير اسمها المأخوذ من أول كلمتها كما في **ق وص** توقيفية وأما تلك السور التي لها أسماء غير تلك الأسماء التي أخذت من أول كلمة في صدرها **كمسد** فغالب الظن عندي أن تلك التسميات بأول كلمها نشأت في الاستعمال ومن طرف القائلين. والله أعلم بحقيقة الحال مع أننا نرى الزركشي يبين عن شكه في هذا الموضوع بقوله: وينبغي البحث عن تعدد الأسامى هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد (الزركشي، ج ١ ص ٣٦٧) فنقول تجاه هذا إن التسمية بأول كلمة لها معنى ومناسبة قوية أكثر من غيرها حيث إن وقوعها في الصدر يجعل الانتقال إليها سهلا فيقع بها التسمية بغلبة الاستعمال كما في ابن عباس وابن مسعود والله أعلم.

٢) انظر الزركشي، ج ١، ص ٢٧٠-٢٧١، السيوطي، ج ١، ص ٧٤.

هذا قد يرد ذكر اسم أكثر من نبي في أكثر من سورة ولكن إنما يأخذ السورة الواحدة منها اسمها من اسم نبي واحد منهم فقط. وحول هذا الموضوع يذكر السيوطي ما يلي: فإن قيل قد ورد في سورة هود ذكر **نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى** فلم خصت باسم هود وحده مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول؟ قيل تكررت هذه القصص في سورة **الأعراف** و سورة **هود والشعراء** بأوعب مما وردت في غيرها ولم يتكرر في سورة واحدة من هذه السور الثلاث اسم **هود** كتكرره في سورته فانه تكرر فيها في أربعة مواضع والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا. قال فإن قيل فقد تكرر اسم نوح فيها في ستة مواضع قيل: لما أفردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه من سورة تضمنت قصته وقصة غيره.[1]

٣- وأخيرا كما يوجد لبعض السور أسماء متعددة كذلك يوجد للفرقان الحكيم أيضا أسماء متعددة فمثلا نجد **الزركشي** يذكر للقرآن خمسا وخمسين اسما[2] ولكن حيث إن لنا وجهة أخرى لا نتناول بالذكر موضوع أسماء الفرقان الحكيم ووجه تعددها والحكمة في كل تسمية منها. ولكن لا يغيبنّ عن بالنا أن جميع تلك الأسماء الفرقانية ذكرت في الفرقان الحكيم والغالب منها أوصاف أضفاها الله على كتابه المجيد.

---

١) السيوطي، ج ١، ص ٧٤، الزركشي، ج ١، ص ٢٧١.

٢) الزركشي، ج ١، ص ٣٧٠-٣٧٣.

منهجنا في استنباط النظرة الحضارية من الأسماء

١ - إن الكلمات التي استعملها القرآن ثنايا بينات آياته مقيدة بالدلالة على ما ورد في القرآن كما في مدلول كلمة "الظلم" المفسر في القرآن بالشرك وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا أو مقيدة بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم كالوارد عنه في تفسير "الخيط الأبيض والأسود" أو مقيدة بما حدده السياق كما في الكلمات الداخلة في الوجوه والنظائر من مثل "الذكر" و"الرحمة" و"النور" و"الهدى" وغيرها، فإن اختلاف مدلولات تلك الكلمات في شتى المواضيع القرآنية - مع أن معانيها اللغوية معروفة محدودة - إنما هو بحسب السياقات القرآنية المختلفة، أو مقيدة بما حدده اللغة كما في جل ما يفسره القوم في القرآن من الكلمات إذا لم يحدده أحد من الأمور السابقة.

إن تلك الكلمات التي جعلت أسماء للسور القرآنية مأخوذة من السور التي جعلت أسماء لها فالأولى بها معانيها القرآنية المارة في السور المسماة ولكنها حينما تكون أسماء للسور تكون كلمات مفردة غير مفيدة الفائدة الكلامية المعروفة عند النحاة فلا محل لها للإعراب، لأنها حينئذاك تكون مقطوعة الصلة عن سياقها وموقعها الذي كان لها في الجملة كما ترى النحاة يذكرون في عناوين الأبواب أنها مفردة لا محل لها من الإعراب.

فانطلاقا مما أسلفنا ليس هناك لا من ناحية النصوص ولا من ناحية الفلسفة اللغوية مجبر لنا أو ملجأ إلى أن نتقيد في منطلقنا في بيان

معاني الكلمات التي جعلت أسماء للسور بهذا المعنى أو ذاك عدا اللغة. نعم إن كونها في القرآن قرينة قوية على معناها السياقي ولكن ما تكتسبه في مجموع التسميات السورية من تلائم وتوافق مع أخواتها أيضا قرينة على اتجاهنا فإن من البداهة بمكان أن جميع ما في القرآن هدى ورحمة للناس والمؤمنين. فإذاً ليس من المعقول وليس من المنطق في شيء أن يكون هناك أربع عشرة كلمة متعلقة بالقرآن وعناوين على جميع ما في ضمن ذاك الكتاب العزيز ثم لا يكون لها سواء في نفسها أو مع غيرها وجه حكمة وهداية.

٢- جعلنا خطتنا في استنباط نظرة القرآن الحضارية من أسماء السور كما يلي: نظرا إلى أن الأنسب أن يكون القرآن هو المنطلق الأول لنا في أخذ المعاني من التسميات نرجح أولا السياق القرآني لتلك الكلم التي جعلت اسما للسور ما أمكن ذلك. فإن لم يتيسر ذلك انطلقنا من المعنى اللغوي الأعم من الإطلاق القرآني والأقرب له، إيفاء باستكمال نظرة القرآن الحضارية الشمولية المنعكسة من أسماء سوره، كما سترى ذلك إن شاء الله تعالى.

٣- إننا في تناولنا لوجه تسمية كل سورة بما سميت به من الأسماء اعتمدنا- كما أسلفنا- على ما اشتهر من الأسماء في مصاحف بلادنا -المكتوبة بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم- حتى لو اشتهر في بلادنا اسمان لسورة بينا وجه كل منهما على التفصيل كما في سورتي **القتال والمؤمن** حيث اشتهرتا باسمين اثنين في بلادنا: الأولى

ب: **محمد والقتال** والثانية ب: **المؤمن وغـــافر** فذكرنا لكل من الاسمين وجهه وحكمته حسب طاقتنا والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

٤- إن كثيرا من الأسماء له اتجاهات عديدة يحمل أكثر من وجه دلالة في نظرة القرآن الحضارية الشمولية كالنحل له صلة قوية بالبيئة، وله صلة بالاقتصاد، وله صلة بالطبيعة وكالشمس لها صلة قوية بالطبيعة والبيئة. ففي مثل هذه الأسماء رغما من أننا تركزنا على جانب مما وجدنا صلته أقوى بمدلول الكلمة، ولكن غب ذلك ما تركنا الإشارة إلى الجوانب الأخر أيضا. وفي أثناء البحث سنشير إلى ذلك إن شاء الله تعالى.

obeikandl.com

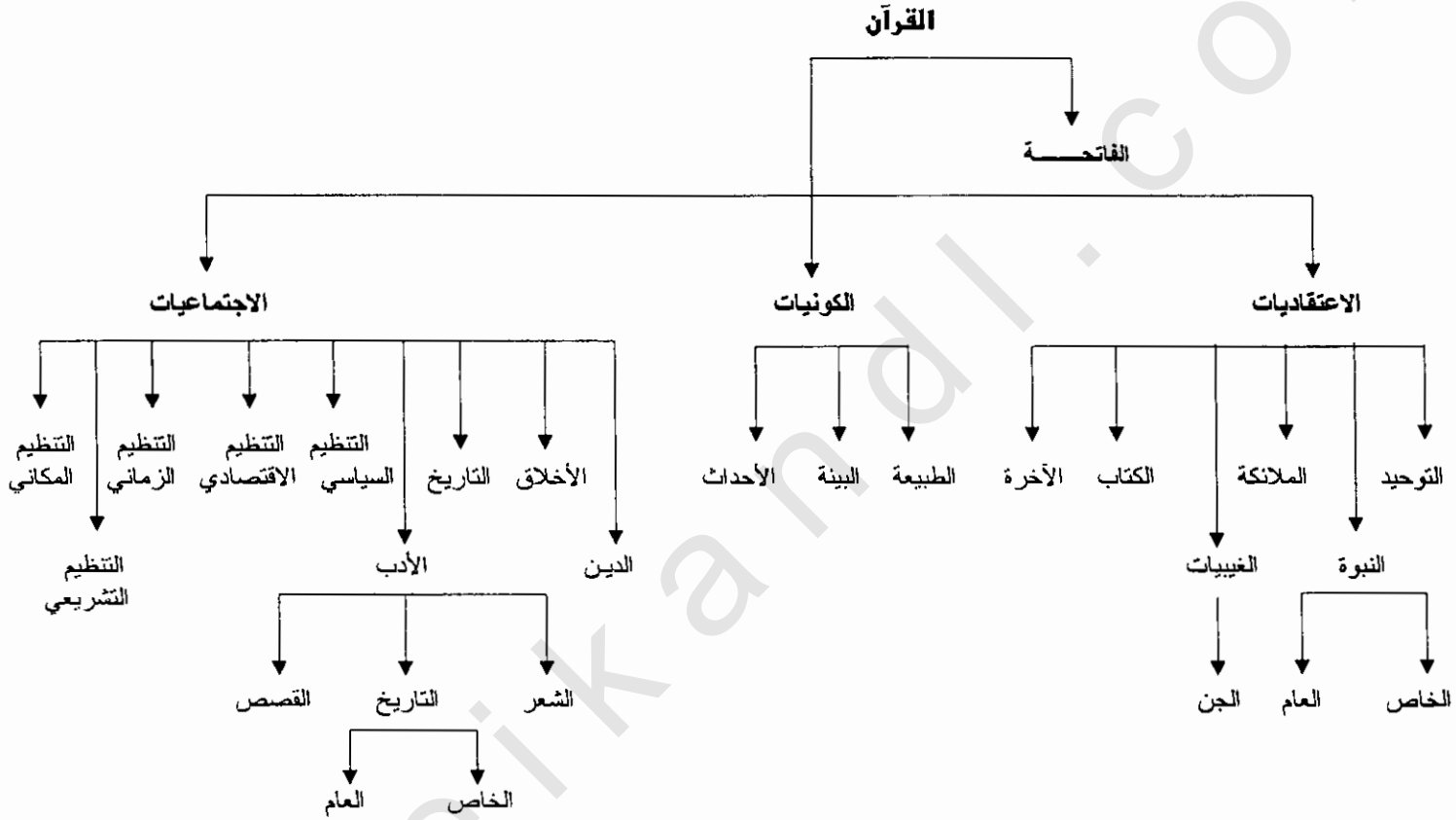

 # جدول: المواضيع التي تشير إليها أسماء سور القرآن الكريم

obeikandl.com

التسمية بالفاتحة

إن الفاتحة وهي اسم لأول سورة في القرآن في الترتيب الوضعي لا الزمني ولا النزولي تدل بمغزاها على الافتتاح والابتداء فهي فاتحة الكتاب المجيد ومفتتح السور العزيزة فيتوائم تسميتها لموقعها وموقعها لاسمها. لكل شيء فاتحة وفاتحة الكتاب المجيد هي سورة الفاتحة. كما أننا نفهم من تلك التسمية من أول نظرة نلقيها على المجموعة السورية أننا أمام أمر هام وكتاب عزيز عظيم يحق أن يكون له فاتحة فائحة فإن الفاتحة إنما تكون للأمور الهامة وللكتب القيمة والأسفار المجيدة. أما تلك الأمور السفاسف والكتب التوافه فلا يكون ولا يجدر أن يكون لها فاتحة.

ونجد للتسمية بالفاتحة معنى حضاريا أيضا حيث ان تسمية أولى سور القرآن بالفاتحة تجعلنا مواجهين لمبدأ التنظيم والتنسيق لأن جعل الفاتحة لأمر هام حدث نابع من الاهتمام بالنظام والتنظيم وجعل كل شيء في محله المناسب والأخذ بالأمر المناسب في زمنه المناسب ومحله المناسب. وهذا لعمري من أهم مواصفات العقلية الحضارية والوعي الحضاري. والأخذ بمبدأ التنظيم يأتي للفرد والجماعة بالخير والبر والبركة الكثيرة في كثير من الأمور. وسنتناول ذلك في محور آخر بإذنه تعالى.

إن التسمية السورية القرآنية عدا تسمية الفاتحة تتمحور- كما أسلفنا- في ثلاث محاور رئيسية :

١- المحورالأول الاعتقاديات

تمهيد

الاعتقاد أوالعقيدة - سواء كانت حقة أم باطلة- من أهم الدوافع الإنسانية التي تدفع الإنسان إلى الكثير من الأحداث والأعمال والنشاطات والمغامرات والتضحيات وتدفعه إلى الكثير من فعل الخيرات وارتكاب المنكرات وتحضه على فعل الكثير من الحسنات وتزجره عن كثير من السيآت. العقيدة بكلتا صورتيها من أعظم محركات الإنسان إلى الحركة الدؤوب والنشاط المستمر والعمل المضني والتضحية الدهشة وخصيصا إذا كانت العقيدة حقة ذات بنيان قوي من العقل والحكمة والمنطق الرشيد بما يصاحبها من الثقة العميقة في النفوس والطمأنينة الراسخة في القلوب فعقيدة كهذه قلما يقاومها في صلابتها وقوتها شيء آخر وقلما يوجد شيء لا يستطيع المؤمن بها أن يفعله.

ثم إن من أهم الأمور التي تستطيع أن تجمع شتات الناس ومختلفيهم على صعيد واحد العقيدة فهي تستطيع أن تجعل منهم يدا واحدة يرمون عن قوس واحد يجمعون على جلب مصالحهم و يتفقون على درء مفاسدهم ومنها يجعلون لهم أحسن المناهج وأفضل القواعد التي يسلك الناس على ضوئها. ويتخذون منها أهم الأسس التي بها يتفاهمون ومنها يتفاعلون وعليها يتناصحون. فالعقيدة من أكبر الحوافز

البشرية التي تحفزه إلى الأمام وتصنع منه نموذجا إنسانيا رائعا وكذا أخصب الأرضيات التي تزرع عليها بذور الحضارات هو أرضية العقيدة. فلذا ترى أن اثنتين من بين تلك الحضارات الخمس التي لا تزال على قيد الحياة تنتميان إلى العقيدة وتستقي عروقهما منها الحضارة الإسلامية والحضارة الأورثوذكسية . فالعقيدة لها دور كبير وإن لم يكن كل الدور في بناء الحضارات ورقيها وتطورها.

إن القرآن الكريم يهدف عبر جميع آياته وسوره ترسيخ مقاصد أربع في قلوب المؤمنين أهمها التوحيد والثلاث الأخرى إنما تبتنى عليها وهي الرسالة والعدالة والحشر[1] فمن هنا نرى القرآن يهتم ببيان وإثبات عقيدة التوحيد اهتماما زائدا فيجول في شتى صفحات هذا الكون المترامي الأطراف ملتقطا من هنا وهناك دلائل الربوبية وآتيا من هنا وهناك بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة والحجج الدامغة التي تبين عظمة الصانع وتدل بصريحة وصراحة على توحيده وبطلان الكفر والشرك من أساسه: قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]

---

١) النورسي، السابق، ص ٩.

٢) البقرة، ٢/١٦٤.

القرآن الكريم ككونه كتاب هداية يهدف إنقاذ الإنسانية من أوحال الكفر وتطهيرها من أوساخ الشرك وتنظيفها من أدران الجحود من أخص خصائصه الطبيعية أن يصرف أكثر مساعيه ويكثف جل جهوده لتقديم العقيدة الحقة إلى الناس في صورة إقناعية يقتنع بها ذووالعقول الكاملة و أسلوب مبرهن يتقبله أولو الألباب الفاضلة جاعلا في خلال ذلك البيان القاهر والعرض الباهر نظامه المعرفي ونظرته العالمية التي تلقى الضوء على المناهج التي لا بد لنا منها ونحن نتحمل تلك الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. وحينما يقدم العقيدة الحقة لعالم البشرية لا يهمل أمر مسيرة الحياة الإنسانية بلا تنظيم ولا ترتيب فيقدم الأسس اللازمة لتسيير الحياة الاجتماعية وتنظيمها جاعلة في ضمن ذلك التقديم منهجية سليمة يتخذها معتنقو تلك العقيد ة التوحيدية منهجا لهم في مقاربتهم للكون والحياة والإنسان وكل ما له صلة وملابسة بها من الظروف والأحداث، وكل هذا نجده بشكل زائد في العرض القرآني المعجز إن في عرض الدلائل التوحيدية أو غيرها:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ❖ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ❖

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

وبعد ما أسلفنا عن صلة العقيدة المتينة بالحضارة ودورها العظيم في بنائها لا حاجة بنا إلى أن نبين ما لكل واحد من جزئيات وعناصر العقيدة من صلة بالحضارة فإن ما ينسب للكل ككل منسوب إلى جزئه أيضا ثم إن الكل لا وجود له مستقلا من سوى وجوده في ضمن أجزائه، فما له كان لها. فالبنيان العقدي إنما يلعب ذلك الدور الهام في بناء الحضارة بما تحتويه في ضمنها من الأركان والعناصر والجزئيات لأن بها قوامه ومنها قيامه.

إن الاعتقاديات التي قدمها القرآن للبشرية ذات فروع كثيرة وفنون وفيرة لا تنحصر في أصل واحد فإن تلك العقيدة الحقة التي أتى بها القرآن جامعة شاملة لعالم الغيب والشهادة متضمنة لأمور الدنيا والأخرى محتوية على جل الغيبيات التي يتطلب الله سبحانه من عباده أن يؤمنوا بها لحكم كثيرة يعلمها هو.

ومن طريف الحكمة القرآنية المنعكسة من خلال تسميات السور بأسمائها أن محور الاعتقاديات من محاور أسماء السور تشتمل على أركان الإيمان الواردة في الكتاب من مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

---

١) الروم، ٣٠/٢٠-٢٤.

٢) البقرة، ٢/١٧٧.

لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[2] والواردة في السنة من مثل ما رواه مسلم: **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر"**[3] فناسب ذلك أشد المناسبة كون محور الاعتقاديات في التسمية السورية القرآنية أيضا منقسما في حد ذاته إلى فروع خمس:

الفرع الأول التوحيد

إن الحضارة الإسلامية حضارة أسست من أول يوم على التوحيد والتقوى فالصبغة التوحيدية ترى بارزة واضحة على جميع تلكم الأمور التي لها مساس بالحضارة كما سبق أن ذكرنا ومفعول تلك العقيدة التوحيدية يحوز دورا كبير في بناء صرح الحضارة الإسلامية كما هو ظاهر من نسبة الحضارة الإسلامية إلى الإسلام الذي إنما صار إسلاما مقبولا عند الله بالتوحيد ومعالم التوحيد الصافية المصوغة في شكل الأوامر والنواهي الإلهية. فلا إسلام بلا توحيد كما لا توحيد بلا إسلام. وتلك

---

١) البقرة، ٢/٢٨٥.

٢) النساء، ٤/١٣٦.

٣) مسلم، الإيمان/٢. روى البخاري أيضا الحديث المذكور لكنه لم يذكر في روايته لفظة "وكتابه" (انظر البخاري، الإيمان/٣٧) فلذا آثرنا رواية مسلم.

الصبغة التوحيدية تلمس آثارها لمسا قويا في كثير من تلك المؤسسات والعناصر والأحداث والنشاطات والفنون والآداب والعلوم والمعارف التي يشكل مجموعها البنيان الحضاري الإسلامي.

إذا عمقنا النظر وأمعنا الفكر في أسماء السور كي نظفر بنظرة القرآن التوحيدية من خلال أسماء سوره وجدنا ذلك ظاهرا فإننا نجد أنفسنا في التسمية أمام جوانب أساسية من التوحيد لا بد للعباد الموحدين منها ف: **الإخلاص**. يشير إلى روح التوحيد وأهم مقوماته، حيث يدل على إخلاص العقيدة و العبودية والطاعة لله الواحد الأحد لأن العقيدة إذا خلت من الإخلاص ولم تتصف للواحد الأحد بأن شابها شيء من معاني الشرك لا يعدل عند الله شيئا كالذي يقوله المشركون: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[1] كذلك العبودية والطاعة إنما تقبلان بالإخلاص فحسب: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[2] فعندئذ يفهم بصورة ملموسة ما للإخلاص من الأهمية سواء في قبول العقيدة التوحيدية أو في قبول الطاعات والعبادات لدى الله كما تتناسب تلك التسمية الجامعة مع سر جعل هذه السورة تعدل ثلث القرآن كما روى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**"، وعنه أيضا قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم

---

١) الزمر، ٣/٣٩.

٢) الكهف، ١١٠/١٨.

لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم و قالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن.[1]

كما أن هناك أسماء لسور أخرى تدل على جوانب أخرى هامة للتوحيد: حيث ان من أهم سمات توحيد الله هو تقدسه عن النظير والشريك والمثيل وترفعه عن جميع النقائص والريوب والعيوب وتنزهه عن كل الأمثال والأنداد والأضداد فيدل على جميع معاني التقدس الإلهي تلك اسم: **الأعلى** بمعنى علوه عن جميع النظائر والأنداد والنقائص والعيوب والأوهام التي لا تليق بالربوبية.

كما أن من أهم مستلزمات الألوهية أولا والتوحيد ثانيا هو أن يكون ذاك الإله الموحَّد خالقا مبدعا لهذا الكون فاطرا له بكل ما تحمله لفظة "فطر" من المعنى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾[3] ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾[4] يشير إلى ذلك المعنى اللازم المتحتم للألوهية والربوبية التسمية ب: **فاطر**.

ثم إن من شأن الخالق أن يكون رحيما بعباده غافرا لذنوبهم كما يفصح القرآن عن ذلك في كثير من آيه المجيدة وكما يعرب عن ذلك أيضا

---

١) كلا الحديثين من البخاري، فضائل القرآن/١٣.

٢) الأنعام، ٧٩/٦.

٣) الأنبياء، ٥٦/٢١.

٤) يس، ٢٢/٣٦-٢٣.

الاعتناء القرآني بالرحمة بذكرها بكثرة في كثير من المواضع حيث يبلغ عدد مواقع ذكر الرحمة في القرآن ككونها وصفا مسندا لله- إن في قالب مصدر كرحمة أو قالب صفة **كأرحم والرحمن والرحيم**- يبلغ عدده ثلاثمائة وعشرين مرة. وهذا من حفاوة القرآن البالغة بالرحمة.وفيه بشرى كريمة لعباده المذنبين كي يكونوا على أمل ورجاء من رحمة ربهم فلا ييئسوا من روح الله إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون. ونجد من الجانب الآخر أن القرآن يذكر فيما يقرب مأتى مرة **الغفران** مسندا إلى الله في صورته الإيجابية فيظهر من هذين الرقمين لذكر كلتا الصفتين في القرآن مسندتين إلى الله جل وعلا مكانة الرحمة والغفران في النظرة القرآنية الإسلامية التوحيدية. ودلالة على شيء من ذاك الاهتمام أخذ كلا الوصفين الرحمة والغفران محلهما في التسمية السورية ضمن اسمي : **الرحمن و غافر.**

واهتمام القرآن البالغ بالرحمة يجعل المؤمنين أيضا يهتمون بها في مشوارهم الحضاري وبذلك يظهر كيانها الجماعي وأثرها الاجتماعي فيما بين الناس بصورة أكثر في المعاملات اليومية و التصرفات الاقتصادية والملابسات الأخلاقية والعلاقات الثنائية والتخطيطات الجماعية وكل تلك المجالات من الساحات التي يظهر فيها الدور الذي تلعبه الرحمة أكثر كما أن ظهور صبغ الرحمة في جميعها يجعل مساهمة أبناء البلاد في تطوير بلادهم في المجالات المدنية وترقيتها في الساحات العلمية والمعرفية أضعافا مضاعفة فإن الرحمة إذا عمت بين أفراد مجتمع ما وصارت

شعارا جماعيا لهم وإذا وثقوا بالتراحم التام بينهم ازداد عطائهم ونمى إنتاجهم وعم خيرهم وتم برهم وشمل بركتهم وأدى ذلك إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعية في البلاد أكثر فأكثر. فإن من موجبات تلك الرحمة المتغلغلة[1] في كيان المجتمع وآثاره الإيجابية البنّائة أن يتعاون الناس في جميع الأمور الخيرية من التعاون في رفع الأحمال التي تعاني منها الأمة، إلى التكافل الرشيد والتساند السديد في التخطيط والتنظيم لا لصالح المسلمين فقط بل لصالح جميع الإنسانية، وإلى التفاهم والتكاتف والتضامن ضد جميع ما يضر الناس أو يهدد مصير الإنسانية. فيا ترى! هل تظن أن فكرة صنع القنابل الذرية أو الأسلحة البيولوجية أو..أو..أو..خرجت من قلب أو قلوب تبض[2] بأية رحمة وشفقة على الناس الآخرين أو حتى على البهائم وسائر الحيوانات؟ وهل ترى أية أثر رحمة في حضارة تحض على جميع هؤلاء وأكثر إرواأ لأوامه[3] الاستغلالي وإشباعا لنهمه الاستعماري البهيمي؟

ومن أهم صفات الألوهية المطلقة أن يكون الإله مؤمنا لعباده جاعلا إياهم في كنف[4] أمنه وأمانه ورحمته، ليس شديدا عليهم، ولا يكون دوما على إرادة الانتقام منهم -بدون استحقاقهم بالمعصية والذنوب- فنرى موجودا في تسميات السور ذلك المعنى الهام الذي هو

---

١) المتغلغلة: الداخلة.

٢) من بض الماء: إذا سال قليلا.

٣) الأوام كغراب: العطش أو حره.

٤) الكنف بفتح الوسط: الجانب والظل والناحية معنى في كنف الله: في حرزه وستره.

كبشرى للناس عامة والمؤمنين خاصة -وخصوصا في ذلك الجو الإشراكي الذي كان يعتقد فيها الآلهة بصورة مفزعة لا يؤمن جانبها أصلا ويكون العباد على هلع[1] وفزع وقلق دائم من جهتها. حيث إن تلك الآلهة المزعومة على عزم الانتقام من العباد دائما حسب معتقداتهم الباطلة الزائفة- فالناس في جو هذا الدين الجديد والمعتقد الجديد الذي يأتي به هذا الكتاب الجديد محتاجون إلى بشائر الخير والهدى ومعاني الاطمئنان والسلوى كي يكونوا آمنين واثقين برحمة ربهم، منشرحين بغفرانه، مطمئنين إلى إحسانه. فدلالة على كل هذه المعاني جاء في التسمية كلمة: **المؤمن** المباركة اسما للسورة -على إحدى الروايات الواردة في التسمية[2]- وأفاد الجماعة المؤمنة كثيرا من معاني الخير والرحمة.

إذا لاحظنا الجو الإشراكي السائد على قطاعات البشر الذي نزل فيه القرآن ولاحظنا ما يسندونه حينئذاك إلى الألوهية من معاني القسوة والشدة ببني الإنسان وعداوة الآلهة للناس وكونها دوما على عزم الانتقام من بني البشر إذا لاحظنا كل هؤلاء الأمور المسندة إلى الألوهية في ذلك الجو القاتم[3] بأنواع الشرك و صنوف الوثنية... أدركنا عندئذ أهمية التسمية بهذه الأسماء الحكيمة وما تحمله من معاني البشرى

---

١) الهلع: الجزع وقلة الصبر.

٢) راجع طاهر الجزائري، **التبيان**، ص ١٦٣.

٣) القاتم: الأسود.

بالرحمة والأمان والسلوة بالعفو والغفران.

فترى معي أن التسمية في هذا الفرع الأول من المحور الأول محور الاعتقاديات رغم مسافتها القصيرة احتوت على أهم معالم التوحيد ومقوماته و أهم مستلزمات الألوهية وهي: ١- إخلاص العبودية لله، ٢- و الخالقية، ٣- و التنزيه، ٤-والرحمة، ٥- و الغفران، ٦- والأمان.

الفرع الثاني الرسالة

ثاني أهم المقاصد القرآنية التي يكثف البيان القرآني جهوده لإثباتها هو الرسالة فإن التوحيد إنما تقوم قائمته في الأرض وتتحقق العبودية على هديه بالرسالة لا غير. لأن العقل البشري مهما حار وسار ومهما صال وجال لا يمكن أن يطلع على التوحيد الكامل اللائق بكبرياء الله وقداسته. القسم الكبير من تلك المحاولات والجهود الفلسفية التي صرفت من طرف الفلاسفة والمتفكرين قديما وحديثا لم يكن إلا بحثا عن خالق هذا الكون وحقيقة وجوده المطلق ولكن القسم الغالب من تلك المساعي المبذولة للوصول إلى الحق ذهبت أدراج الرياح ولم يصل و لم يدان - ولو قسم قليل منها- الحق لا في قليل ولا في كثير. ألم يكن إرجاع البعض منهم كطاليس أصل الكون إلى الماء وإرجاع الآخر كانكسيمنس إلى الهواء أو البعض كانكسيمندر إلى مادة لا شكل لها ولا نهاية ولا حدود أو البعض كفيثاغور إلى العدد أو البعض الآخر إلى أمور

أخرى ألم يكن كل تلك الجهود بحثا عن الخالق العظيم[1]؟ ولكن هؤلاء حيث لم يتصلوا - في ظاهر الأمر على ما يتراآ لنا- بأي طرف من نور النبوة لم يستحصلوا من جهودهم تلك إلا على ما هو أقرب إلى الخرافة من الحقيقة وأوسم بالضلال من الهداية. كما نجد في الجانب الآخر من الفلاسفة المتأخرين من أمثال سبينوزا ولوك ولايبنز وكانط* وديكارت وغيرهم نجد هؤلاء أقرب إلى الظفر بالوصول إلى الحقيقة المطلقة فتكاد تجد أنهم كلهم يعترفون بوجود خالق لهذا الكون يدبره ويتصرف فيه كما يشاء[2] ولم يكن هذا الفرق البعيد والبون الشاسع بين قدامى الفلاسفة ومتأخريهم إلا باتصال متأخريهم بشعاع من نور النبوة واقتباسهم قبسا منه-ولو كان تحت اللاوعي- وعدم اتصال القدامى منهم بأي شيء منه.

ثم إن هؤلاء المتأخرين هم أنفسهم أيضا حيث لم يسيروا في جل أعمالهم التفكيرية على ضوء الوحي وقعوا أيضا في مهالك فكرية وضلالات عقلية غير قليلة إلى درجة أن كفر الغزالي فيلسوفا كبيرا كابن

---

١) نديم الجسر: **قصة القرآن بين العلم والفلسفة والقرآن**، بلا تاريخ ولامحل طباعة، ص ٢٨-٣٠. وإن أردت أن ترى عن كثب تفصيل ما أجملناه في الأعلى فراجع هذا الكتاب القيم واقرئه من أوله إلى آخره.

*) ومما يدل على قرب بعض هؤلاء الفلاسفة من نور النبوة ما ذكره مراد هوفمان: "أما أن البسملة مكتوبة بخط اليد عام ١٧٥٥ على شهادة دكتوراه الفيلسوف كانط فإن هذا لغز حير الباحثين. (مراد هوفمان، الإسلام كبديل، ص ٤٩.)

٢) المصدر السابق، ص. ١٤٣-١٥٢.

سيناء في ثلاث مسائل وفسقه في سبع عشرة مسألة و لكون دليلهم الوحيد كان عقلهم البشري البائس فقط لم يستطيعوا أن يصلوا إلى حظيرة حقيقة كبرياء الحق المقدس فتاهوا فيما تاهوا فيه ولم يصل إلى الحق منهم سوى قلة قليلة في جزئيات ضئيلة. فإذاً لا غناء للعقل البشري مهما زادت معرفته واتسعت آفاق تفكيره عن نور النبوة وضيائها أبدا. فلا غرو صرف القرآن العظيم كما كبيرا من مساعيه الحميدة لإثبات الرسالة إن في محورها العام وهو رسالات الأنبياء الذين أرسلوا من قبل وإن في محورها الخاص وهو الرسالة المحمدية:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۞ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[2]

من هنا كان لزاما أن يتبوء النبوة والرسالة بمحوريها الخاص والعام مكانتها في التسمية السورية القرآنية أما في محورها الخاص وهي رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فنجد التصريح أولا باسمه

---

١) النساء، ٤/١٦٣-١٦٥.

٢) الأحقاف، ٤٦/٩.

الخاص العلم له ضمن تسمية سورة **محمد** (على إحدى الروايات الواردة في اسم السورة)[1]

كما نجد إلى جانب ذلك في التسمية بعضا من الملابسات التي لزمته صلى الله عليه وسلم إبان رسالته وهي تزمله وتدثره ضمن اسمي **المزمل والمدثر** تذكيرا لبعض ملابسات الوحي التي لاحت على صاحبه في مبتدأ أمر الوحي بحيث كلما ذكر هذان الاسمان عند أحد من المؤمنين الذين لهم صلة بالسيرة النبوية ذكر مبتدأ وحيه صلى الله عليه وسلم.

ثم إن التفصيلات الواقعة حول شؤون الرسالة الخاصة لا تقف عند هذا الحد بل نرى التسمية تقطع شوطا أوسع حيث تشير إلى بعض من تلك الأمور الهامة التي لم تنفصم عن صاحب الوحي عبر رسالته ومن أهمها:

١- كونه صلى الله عليه وسلم منشرح الصدر لأسرار النبوة وحكمها وعلومها التي لا يسع لها إلا صدر شرحه الله لها فمن ذا امتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بشرح صدره: **ألم نشرح لك صدرك**. يدل على ذلك الوصف اللازم للنبوة الغير الجائز انفكاكه عنها دوم حياتها التسمية **بالانشراح**.

٢- كونه صلى الله عليه وسلم بينة من الله على خلقه يثبت به أولا أن جميع ما أخبر به الوحي - سواء كان الوحي المنزل عليه صلى الله عليه وسلم أو الوحي المنزل على غيره مما في الكتابين السابقين- حق

---

١) انظر الزركشي، ج ١، ص ٣٦٦.

وواقع لا محالة كما يثبت القضايا الحقوقية عند القاضي بالبينة العادلة وثانيا عند الله يوم القيمة أن لا معذرة لأحد في ترك العبودية الحقة لله الواحد الأحد. يدل على ذلك اسم: البينة.

بينما نرى من ناحية أخرى أن تلك التسمية الحكيمة لا تهمل أهم مستلزمات النبوة وهو جانبان كأنهما على طرفي نقيض أحدهما الجانب الإعجازي الذي لم يفارق النبوة عبر عمرها الطويل وهو ههنا يتمثل في: الإسراء الذي لا يمكن أن يتحقق بمضمونه القرآني ككونه مقدورا بشريا- وهو ذهابه صلى الله عليه وسلم وإيابه في ليلة واحدة إلى بيت المقدس الذي يبعد عن المسجد الحرام قرابة مسافة شهرين: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾[1].

وثانيهما الجانب البشري الذي لا يخلو رسول منه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[3] وهذا الجانب البشري الذي يلزم النبوة ولا ينفصم منها أبدا يشير التسمية السورية منه إلى أهم ملابساته الإنسانية وهي الخطأ ولكن إن الخطأ الطارئ على صاحب النبوة ليس كأخطاء سائر الناس التي يجوز أن يبقى صاحبها عليها بأن

---

١) الإسراء، ١/١٧.

٢) الأنبياء، ٧/٢١.

٣) الأنعام، ٩/٦.

يدوم عليها بل يتحتم أن ينبه صاحب النبوة على ما صدر منه فورما وقع منه وغير جائز تقريره عليه ولو كان ذلك الخطأ ارتكب من أجل إبلاغ النبوة. يشير إلى كل ذلك هذه التسمية الحكيمة الرشيدة: **عبس**. إلى جانب ما تومئ إليه هذه التسمية الحكيمة من ملابسات وقوع الحدث التاريخي الذي وقع مدلول كلمة اسم السورة (العبوس) بسببه وهو إعراض الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عابسا وجهه عن نداء رجل أعمى له يبتغي منه الإرشاد إلى طريق الإسلام (قائلا يا محمد علمني مما علمك الله) بينما كان الرسول مشغولا حينئذاك بدعوة بعض من صناديد[1] قريش إلى الإسلام. فتجهم[2] الرسول لظن أنه لو أقبل على الأعمى معرضا عن هؤلاء لفاتوه وتركوا إجابته. فتومئ التسمية إلى عناية الإسلام البالغة بكرامة الإنسان أيا كان وفي أي موقع اجتماعي كان. ومن هذه الناحية تكون هذه التسمية ذات صلة وثيقة بالاجتماعيات من آداب المعاشرة و المرحمة مع الضعفاء والفقراء وعدم كسر خاطرهم ثم بالسياسيات أيضا من سلوكيات الرئيس مع الضعفاء من أتباعه كما لها علاقة قوية بالأخلاقيات أيضا من التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، كما تدل التسمية إلى جانب المقطع الأول من السورة دلالة قوية على أن هذا القرآن ما كان من صنع محمد صلى الله عليه وسلم واختلاقه وإلا فما كان محمد صلى الله عليه وسلم لأن يلوم نفسه

---

١) الصناديد جمع صنديد: السيد الشجاع أو الحليم أو الجواد أو الشريف.

٢) تجهمه: استقبله بوجه كريه.

في كتابه في أمر كان من عاديات الأمور في ذلك الحين السائد فيه على جميع القطاعات البشرية الاستبداد الغاشم والديكتاتورية الجائرة، بل كان الرؤساء المستبدون والديكتاتوريون الظالمون يومئذ يفعلون مع رعيتهم أكبر وأعظم من ذلك بكثير من زجر وشتم وذم وضرب ونهب وقتل في أتفه الأمور وما كانوا يلامون على ذلك.

وأما النبوة ضمن محورها العام المدلول عليها بأسماء السور فاسم **الأنبياء** يشير إلى النبوة بمفهومها العام متمثلة في جميع الأنبياء سواء منهم من ذكر في القرآن أسماؤهم أومن لم تذكر.

وأما هذه التسميات السورية: **يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح** فتشير إلى جانب مهم خاص من النبوة لحكمة اقتضاها تقدير العزيز العليم.

الفرع الثالث القرآن

نجد في هذا المحور إشارة إلى دعامة أخرى من دعائم الإيمان والاعتقاد الحق الذي يطالب الله سبحانه به عباده وهو الإشارة إلى الإيمان بالكتب. فإن الله سبحانه بعث إلى بعض من أنبيائه في مختلف الأزمنة كتبا تحتوي على شرائعه من أوامر ونواهي وسائر أحكامه ورسالاته إلى خلقه. وحيث كان القرآن العظيم آخر كتبه المتضمنة لأكمل وأفضل وآخر شرائعه وحيث كان القرآن الحكيم مهيمنا على سائر كتبه ومصدقا لها: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**

مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1] اكتفى في هذا المقام الذي يكفي فيه الإشارة والتلميح بذكر القرآن مع بعض محدداته وسماته.

إن الإيمان بالقرآن يتبوأ نقطة مركزية في هيكل العقيدة الإسلامية، حيث ينبني عليه الاعتقاد بسائر المعتقدات التي أخبر عنها وحيث إن المرء إذا آمن بالقرآن يكون مؤمنا ولا بد بجميع ما أخبر به القرآن من سائر المعتقدات الغيبية وغيرها فكلما تشير التسمية إلى القرآن كلما تشير إلى أهم مميزاته وخصائصه الذاتية: أولا إن القرآن نزل إلى العالمين كي يفرق بين الحق والباطل والخير والشر والرشد والغي كي يهتدي الناس بهذا التفريق وبنور ذلك الفرقان لوجه الصواب في معاشهم ومعادهم: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[2] ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[3] يشير إلى هذه الخاصة القرآنية التسمية **بالفرقان**.

وهناك ميزة أخرى هامة لهذا الكتاب المجيد وهي التي صار القرآن بسببها مصدرا فياضا ونبعا ثرا لأفضل الحضارات الإنسانية عبر التاريخ وهي كونه فصل جميع تلك الأمور التي تحتاج إليها البشرية في سلوكها الاعتقادي والأخلاقي والاجتماعي وغيرها من نواحي الحياة وكذا فصل ذاك السفر المجيد كثيرا من دقائق شؤون الدنيا والأخرى وكذا

---

١) المائدة، ٥/٤٨.

٢) البقرة، ٢/١٨٥.

٣) الفرقان، ٢٥/١.

فصل مواد غزيرة من مسائل العلم والمعرفة النافعة والسياسة الرشيدة والتوجيه الحكيم. فدلالة على ما تحمل هذه الميزة القرآنية من بين ميزاتها الأخرى من أهمية بالغة وعلى تفصيله لشؤون الكون والحياة وتفصيله لدقائق الدين وتفصيله لأمور الآخرة وتفصيله للخط الذي يسير عليه حياة الإنسان وغيرها، فلكثير من هذه التفاصيل الواردة في القرآن المجيد جعل التفصيل اسما للسورة في ذلك القالب الفعلي الدال على المعنى المتقدم من غير تغيير ولا تبديل: **فصلت**.

وهنا جانب هام آخر من الخصائص القرآنية التي تقتضي أهمية قصوى هو جانب الإعجاز القرآني فإن ذاك الإعجاز يتشعب باعتبار ما يدل عليه ويثبت حقيته إلى شعب: فمن جانب يدل على حقية القرآن حيث يتحدى على الصعيد العالمي بذكر أسماء هذه الحروف- التي جعل البعض منها أسماء للسور- كل من له نصيب في الأدب العربي والبلاغة العربية: أن هذا القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم قد ركب من جنس الحروف التي تركبون كلامكم منها فما بالكم- إن كنتم صادقين في مزاعمكم أنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم- لا تأتون بمثله؟[1] وأنتم أنتم! في تذوق أسرار اللسان والإتيان بأقسامه وأنواعه وأفنانه والوقوف على دقائقه ولطائفه والعلم بأحواله وأحكامه وأصنافه.

---

١) راجع ابن عاشور، ج ١، ص ٢١٢، الشوكاني، ج ١، ص ٢٩-٣٠.

ثم إن الإعجاز القرآني كما أنه شاهد صدق على حقية القرآن كذلك هو من جهة ثانية أصدق شاهد وأعدله على صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وعلى صدق النبوة وحقانيتها عامة ومن جهة ثالثة يدل على حقانية الإسلام أجمع فإن القرآن إذا ثبت ثبت معه جميع ما ينبني عليه من مضامين الإسلام جمعاء كما ذكرنا.

يدل على ذلك الجانب الإعجازي بجميع مناحيه هذه التسميات المتشكلة من الحروف المقطعة التي تحدى بها القرآن: طه، يس، ص، ق.

ووجه دلالة هذه الحروف المقطعة التي وقعت في صدر السور تحديا لمصاقع بلغاء العرب، إثباتا لإعجاز القرآن - وقد قرر ذلك البعض من المفسرين-[1] على إثبات نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو: أن صدور مثل أسماء هذه الحروف -التي تقتضي أن يكون في المتهجى بها ثقافة الكتابة والقراءة- من محمد الأمي صلى الله عليه وسلم يدل على صدقه في دعوى أن هذا القرآن منزل من الله لأن الذين هم بمعزل عن القراءة والكتابة ولا يوجد لديهم بضاعة- ولو مزجاة- من ثقافتهما لا يمكن أن يعرفوا هذه الأسماء ولا أن ينطقوا بها صحيحا. فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ككونه أميا يعرف أميته كل من حوله ومن معه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2]

---

١) انظر القاضي عبد الله البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، هامش حاشية شيخزاده، إستانبول ١٩٨١، ج ١، ص ٥٨، ابن عاشور، ج ١، ص ٢١٢-٢١٣.

٢) العنكبوت، ٢٩/٤٨.

وككونه أميا نشأ في وسط أمي منعزل إلى درجة كبيرة عن معالم الكتابة والقراءة وثقافتهما، ولم يعرف قبل نبوته صلة له لا قوية ولا ضعيفة بالأدب العربي لا في منثوره ولا في منظومه ولا في كتابياته فرجل يكون منعزلا عن الأدب بهذا المستوى لا يمكن أن ينطق بأسماء هذه الحروف ما لم يرافقه تعليم الهي ونصر رباني. فنطق محمد عليه الصلاة والسلام بهذه الأسماء أيضا من دلالات نبوته صلى الله عليه وسلم.

فمن هذه الناحية يكون لهذه الأسماء صلة قوية مع إثبات الرسالة المحمدية أيضا.

الفرع الرابع الآخرة

إن إثبات الآخرة أيضا من أهم المقاصد القرآنية- كما أسلفنا- لأن الإيمان بالآخرة أحد أركان الإيمان المذكورة في الكتاب والسنة في العقيدة الإسلامية، والمرء لا يكون مؤمنا في المنظور الإسلامي طالما لم يؤمن بالآخرة. القرآن الحكيم يسعى بكل جده وجهده لإحضار الجماعة المسلمة للمعيشة الرغيدة والحياة السعيدة فيها وفيها يتجلى لمرأى كل أحد و مسمعه مائة بالمائة تلك الحقائق الغيبية التي يصر عليها القرآن كجزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. فتجليات الربوبية إنما تظهر في ذلك اليوم - بحيث يرفع من البين ستار الأسباب وحجب العلل- فلذا نكرر كل يوم مرات عديدة في الصلاة ما يذكرنا بحقيقة ذلك اليوم: ﴿**مالك يوم الدين**﴾ كما أن ذلك اليوم هو اليوم الذي يظهر فيه بلا غبش

ولا لبس جميع مراحل الحشر والحساب الأخروي وجميع مشاهد النعيم المقيم والعذاب الأليم، وفيه يجد كلٌ جزاءَ ما عمل في الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر. وبكلمة موجزة جميع حقائق العقيدة الإسلامية وأحكامها مربوطة من جهة ما بعقيدة الآخرة.

فحق للقرآن الحكيم أن يحشد كثيرا من طاقاتها لذكر الآخرة - وعلى الخصوص يوم القيامة الذي هو أول ميقات من مواقيت الآخرة- إما إنذارا بجحيمها أو تبشيرا بنعيمها وإما إثباتا للحشر الجسماني فيها بأسلوب إقناعي ينشرح به الصدور وبيان معجز ملزم للعقول على القبول:

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[1] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ۞ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[3].

---

١) الروم، ١٩/٣٠.

٢) الروم، ٣٠/ ٤٨-٥٠.

٣) فاطر، ٩/٣٥.

ففي التسمية السورية نجد الآخرة- بما فيها يوم القيامة- أخذت مكانتها اللائقة بها حيث صرح باسم يوم القيامة الذي هو أول أوانها وأعظم أيامها هولا وفزعا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[2] ففي التسمية نجد نفس اسم القيامة منصوصا عليه في تسمية سورة: القيامة. فان لفظة القيامة كالساعة* منصرفة في المصطلح القرآني إلى يوم القيامة لا غير لأنها لم تستعمل في القرآن مع التاء إلا مقيدة باليوم وعبارة عن اليوم الآخر فحسب.

كما نجد أهم خصائص يوم القيامة مذكورا في التسمية السورية بدأ من أول أحواله وهو حشر الناس من القبور ضمن التسمية ب: الحشر. فإن هذه الكلمة معناها المتبادر في المصطلح القرآني هو حشر وجمع جميع الناس من القبور إلى ربهم وإلى موقف حسابه وميقات عقابه وثوابه- وإن وجد استعمالها في الآية لغير هذا المعنى المتبادر أيضا- نجد ذلك في كثير من آي الذكر الحكيم: فقد استعمل في ثلاث وثلاثين موضعا قرآنيا بمعنى الجمع الذي لا يتحقق إلا في الآخرة.

---

١) الحج، ٢٢/١-٢.

٢) المزمل، ٧٣/١٧.

*) إن كلمة الساعة معرفة باللام لم ترد في القرآن إلا ليوم القيمة.وأما منكرة فتأتي بمعناها اللغوي أيضا كما في قوله تعالى **ما لبثوا غير ساعة.**

هذا إلى جانب ما ذكر للقيامة من بعض صفاتها التي تلازمها وتدل على ثبوتها من وقوعها كما في: **الواقعة** لأنها صفة للقيامة باعتبار وقوعها.

ومن حقية ثبوتها كما في: **الحاقة** حيث ان الكلمة تدل على حقية يوم القيامة في نفسه من غير شك أو على أنه يقع فيها حواق الأمور من الحساب والجزاء[1]. أو على أنه يتحقق فيها الوعد والوعيد[2] فعلى كل الاحتمالات هي من صفة القيامة وكفى.

ومن الصفات التي تدل على شدة هولها و قرعها للقلوب والنفوس بمخاوفها ومخاطرها كما في: **القارعة**، نعم انه وصف تقشعر منه الجلود وتنزعج منه النفوس، وصف أبدع القرآن به يدل على فظاعة أمر الرعب الذي يغشى النفوس في ذلك اليوم ومن جرائه.

ومن غشيانها بمخاوفها وأهوالها للنفوس والقلوب كما في: **الغاشية** فان القيامة اتصفت بهذه الصفة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها كأنها تغطيهم كما يغشى الستار ويغطي ما يجعل عليه.[3] فأعظم به من يوم يجعل الولدان شيبا بمخاوفه وأهواله التي تغشى النفوس وتملأ الصدور والقلوب خوفا ورعبا! تغشى بمفازعها جميع نفوس المجموعين إلى الحشر غشيانا بالغا كما تنبئ عنه صيغة فاعلة "**غاشية**" بتاء المبالغة فان

---

١) القاضي، ج٤، ص ٤٣٨-٤٣٩، الشوكاني، ج ٥، ص ٢٧٩.

٢) ابن كثير، ج ٤، ص ٤١٢.

٣) الشوكاني، ج ٥، ص ٤٢٨.

التاء فيها وفي القارعة والحاقة والواقعة ليس للتأنيث لأنها صفات لليوم وهو مذكر يجب أن يكون صفاته الجارية عليه مذكرة أيضا حسب قواعد العربية، بل التاء للمبالغة في معنى الوصف كما في: العلامة والداعية والنابغة والكافية.

إلى جانب تلك الأحداث الكبار المفزعة المتقدمة على القيامة بقليل التي تدل على أن نظام هذا الكون المقدر بقائه من طرف باريه إلى أجل مسمى سيختل بأحداث تندهش منها القلوب وتتحير فيها العقول وتنزعج منها النفوس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

وأهم تلك الأحداث المذكور في القرآن وقوعها قبيل يوم القيامة الأحداث التي تدل على أن هذا النظام الموجود في الكون اليوم سيتبدل قبيل الساعة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]:

الزلزلة الفاقرة فحق لها أن تتبوأ مكانتها في التسمية: الزلزال.

الدخان الذي سيأتي إبان ذلك اليوم وانفطار السماء وانشقاقها وتكوير الشمس فيه. تفصح التسمية السورية عن كل هؤلاء المعاني التي تقشعر منها الجلود وتملأ منها الصدور خوفا وفزعا: الدخان، التكوير،

---

١) الحج، ٢٢/١-٢.

٢) إبراهيم، ١٥/٤٨.

الانشقاق، الانفطار.وإنما يتبدل هذا النظام لأن هذا النظام مؤقت تابع للزمن له أجل مسمى، يشيب مع الزمن ويهرم، غير قابل للخلود والأبدية. خلقه الله يوم خلقه معروضا للزوال والفناء، غير صالح للخلود والبقاء فيحوله الله إلى نظام آخر مهيأ للخلود والدوام لا الفناء والزوال غير تابع للزمن كما في الذي من قبل. أعني أنه لا وجود ولا محل في ذلك النظام الجديد في يوم الآخرة للزمن الذي يحدد آجال الأشياء وآمادها*. وهذه الظاهرة تفسر لنا سر تكوير الشمس وانفطار السماء وانتثار الكواكب وطي السماء يعني أن بتغيير تلك الأجسام العظيمة التي هي أهم أقطاب هذه المنظومة في هذه الدنيا وتحولها إلى ما شاء الله يرفع هذا النظام المؤقت التابع للزمن ويوضع مكانه نظام آخر غير تابع للزمن فلا فناء فيه ولا زوال.

هذا إلى جانب أنه يجوز أن يستنبط لتلك الكلمات- انصرافا عن معانيها القرآنية - معاني أخر تتناسب مع البيئة والطبيعة. كما في الانشقاق والانفطار أو الأحداث الكونية كما في الدخان والتكوير.

هذه الأحداث إلى جانب ما يرى في ذلك اليوم الرهيب من أحوال الأمم من جثوها على الركب مما تعاني في ذلك اليوم من المخاوف التي تجعل الولدان شيبا يبين ذلك اسم: **الجاثية**.

---

* قصدنا بالزمن هنا هو ما يتبع حركة الكوكب وينتج منها، وأما إذا فسر الزمن - كما عند البعض - بالفترة التي تقع فيها حركة المادة أو بنفس حركة المادة، فالزمن موجود في الآخرة أيضاً بلا ريب والله أعلم.

إن ما تعطيه التسمية من فكرة الآخرة لا تقف عند هذا الحد بل تعطي من تلك المشاهد الأخروية مشهدا آخر وهو **الأعراف** فإن **الأعراف** وإن كثر فيه القيل والقال لكن أكثر ما تحتشد عليه الآراء وتصححه هو كونه سورا بين الجنة والنار[1] نعم هذه الكلمة لم تذكر في القرآن في غير هذه السورة لكن جعلها اسما للسورة لما لها من الأهمية القصوى ولما تحمل في طياتها من المغزى باعتبار ما تدل عليه من المشهد الأخروي وإلا فليس لكونها ذكرت هناك فحسب فإننا نجد في القرآن كلمات أخرى أيضا لم تذكر إلا مرة واحدة ك "الزجاجة" و"الزهرة" و"زلقا" مع أن أي واحد منها لم يجعل اسما للسورة لأنها لا تحمل ما تحمله الأعراف من المعاني والدلالات.

استخلاصا مما ذكرنا نجد أن المرء إذا ألقى نظرة إلى فهرست أسماء السور القرآنية تحصل على فكرة مكتملة الجوانب حول الآخرة وشؤونها ومشاهدها إلى جانب ما نرى أن السمة الترهيبية هي الغالبة لأن الإنذار والترهيب أجدى لكثير من الناس وأعمق تأثيرا وأكثر اهتزازا للكيان الروحي الإنساني فالتكثير من الإنذار والترهيب أوفق بسياسة الدعوة وحكمتها.

---

١) الراغب، **المفردات**، ص ٥٦٢، القاضي، ج ٢، ص ٣٤١، محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، دار الفكر الطبعة الثانية، ج ٨، ص ٤٣١.

الفرع الخامس الملائكة و الغيبيات الأخرى

إن الفرقان الحكيم واسطة اتصال بين الغيب والشهادة ومن طريقه وقناته جرى المعلومات الغيبية إلى عالم الشهادة كما اطلعنا من طريقه فحسب على معلومات جمة حول تلك الموجودات الغيبية كالجن وشؤون عالم الغيب والملائكة ووظائفهم الذين يخبرنا الله سبحانه عنهم بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ولا يعصونه و يفعلون ما يؤمرون. فعالم الملائكة مثلا عالم غيبي واسع الأرجاء كثير الشعب كثافة النفوس فيه- أي كثرة عداد من فيه- بالغة إلى ما شاء الله يجرى فيه تصريفات وتوظيفات وتدبيرات[1] ربانية كثيرة لا تقل من هذا العالم المشاهد كما نعلم من القنوات القرآنية أن الكثرة الكاثرة من شؤون هذا العالم المشاهد إنما تجرى من طرفهم بما وكل إليهم من طرف الحكمة الربانية فعالم الملائكة ليس عالما بسيطا هينا له وزن خفيف يمكن أن يكتفي منه بالمعلومات الطفيفة بل هو العالم الذي جعل لحكمة الهية محضة واسطة في الخلق والإيجاد بين الخلق الرباني وبين بروز آثاره في ما نشاهده من شؤون عالم الشهادة فيستحق أن يكون لهذا العالم محله اللائق به في التسمية السورية فمن هنا نجد الحكمة القرآنية أعطتها في التسمية مكانتها اللائقة بها تسمية تصرح باسمها من ناحية كما في الملائكة على إحدى الروايات الواردة في تسمية سورة **فاطر**.[2]

---

١) انظر ابن عاشور، ج ١، ص ٣٩٨.

٢) طاهر الجزائري، **التبيان**، ص ١٦٣.

ومن تسمية تدل على ما تتصف به من النظام وعلى ما وكل إليها من الشؤون والتصاريف المتعلقة بتدبير هذا العالم المرئي: **الصافات، المرسلات، النازعات**.على إحدى الأوجه والاحتمالات الواردة في المراد بها من المعاني.

كما ذكر القرآن المجيد بين أسماء سوره البعض من تلك الأمور الغيبية المضافة إلى الله رأسا وله صلة متينة مع الملائكة الأمر الذي لا مجال للوقوف عليه من سوى طريق الوحي. فكما أن وجود الملائكة غيبي لا سبيل للاطلاع عليه من سوى طريق الوحي كذلك بعض تلك السلوكيات المختصة بالملائكة أيضا لا سبيل إليه من غير قناة الوحي ويتمثل بعض تلك الأمور الغيبية المتعلقة بتلك الأرواح القدسية في اسم: **المعارج**.

فإنه إذا عمقنا النظر في السياق القرآني لهذه الكلمة وجدنا أن هذه الكلمة توحي بصورة المصاعد الحديثة التي تشغل بالطاقة الكهربائية ولكن تلك المصاعد/ المعارج الربانية غيبية لا علم لنا بشكلها وصورتها وكيفية اشتغالها وحقيقتها مع أن كل تلك الأمور لا تعنينا في هذا المجال.

نجد في الجانب الآخر أنه يعطى التسمية القرآنية محلا لقسم آخر من تلك الموجودات الغيبية التي نبأنا القرآن بها وهو الجن فان عالم الجن عالم كعالم الإنس له نواميسه و شؤونه وسلوكياته: ﴿**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ**﴾[1] وله مسؤولياته وتكاليفه، له

---

١) فصلت، ٤١/٢٥.

عقائده وأفكاره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وله مواليده ووفياته وذكوره وإناثه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[2] له عقلائه وسفهائه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾[3] فإذاً هو عالم مكتمل الجوانب، محدد المعالم، متميز الخصائص، كالعالم البشري في جميع أموره الاعتقادية والتكليفية وغالب شؤونه الاجتماعية، عالم يحتاج إلى شرائع وقوانين و ضوابط أخلاقية يضبط بها سلوكياته الفردية والجماعية: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾[4]

فنجد البيان القرآني قارن ذكر الجن مع الإنس في كثير من آياته وخصيصا في التحديات القرآنية ولم يفصل الجن من الإنس: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5] ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾[6] كما ذكر الجن مع

---

١) الذاريات، ٥٦/٥٨.

٢) الجن، ٦/٧٢.

٣) الجن، ٤/٧٢.

٤) سبأ، ١٢/٣٤-١٣.

٥) الإسراء، ٨٨/١٧.

٦) الرحمن، ٣٣/٥٥.

الإنس في محل الوعيد بعذاب الآخرة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾[1]، ﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾[2].

فبعد كل هؤلاء التحشيدات القرآنية لذكر الجن في مختلف المجالات وبشتى المناسبات العديدة وخصوصا في مجالات التكليف يتحتم عليك أن لا تغتر بما يورده حول وجود الجن من الشكوك والشبهات - وحتى الإنكار- بعض من العصرانيين/ الحدثانيين الذين يزعمون أنفسهم مسلمين ولكن الذي يشكل أفكارهم ويؤثر في عقائدهم ويتشرب منه وجدانهم ويأخذ ون عقلياتهم منه- وهم لا يفقهون- هو الوضعية الغربية والعلمنة والإلحادية المعاصرة فهؤلاء الشرذمة القليلة ربما يخرجون من دائرة الإيمان ولا يشعرون بذلك! كما في قضية إنكار وجود الجن أو تأويلها تأويلا سخيفا يخالف ظاهر النصوص وثابت الإجماع لا مسوغ له أبدا فيا لهف عليهم! يخدعون أنفسهم ويظنون أن تأويلاتهم تلك تبقيهم في دائرة الإيمان ولا تخرجهم مع أن تأويلاتهم تلك غير مقبولة ولا صحيحة أبدا لأنها: أولا تخالف النصوص والإجماع وكل تأويل خالفهما فغير صحيح أبدا وثانيا لم تكن عن حسن طوية أبدا بل لمجرد إرضاء شهوتهم الفكرية ولبحت ترفهم العقلي وثالثا للتخلص مما يعيبه أهل الكفر على المؤمنين من الإيمان بالجن الذي

---

١) الأعراف، ١٧٩/٧.

٢) الأعراف، ٣٨/٧.

لا يرى لهم وجود حسي يوافق عليه العقل وقواعد العلوم الحديثة. فهذه التأويلات الباطلة تشبه الخزعبلات والأساطير أكثر في بعدها عن الواقعية والصدق فلا تسمن ولا تغني من جوع.

فإذاً كان من الحقيق بالحكمة القرآنية أن تعطى بين أسماء سوره مكانا لذكر طائفة الجن- التي تشكل النصف الثاني من العالم المكلف بعبودية الله سبحانه والتي يرتبك في اعتقادها كثير من الناس وخصيصا أولئك الذين يغلب عليهم النزعة المادية- كما فعل القرآن نفس ذلك حيث أخذت السورة الثانية والسبعون التي فصلت فيها قصة موقف بعض الجن مع القرآن اسمها من اسم: الجن.

ختاما لهذا المحور نقول: ترى معي أن محور الاعتقاديات في أسماء السور قد تضمن تلك الدعائم الإيمانية التي تشكل صلب عقيدة المسلم التي لا يتكون الكيان الإيماني بلا اعتقاد بأي واحد منها و كذا تضمن بعضا من الأمور الغيبية التي لها مساس زائد بعقيدته ككونها أمورا غيبية نبأنا الله عنها في محكم تنزيله ويتحتم علينا اعتقادها والإيمان بها وبذاك كملت أسماء السور الهيكل الإيماني من جميع أعضائه وشيدت البنيان العقدي من جميع جو انبه.أعظم به من كتاب أنزله اللطيف الخبير!

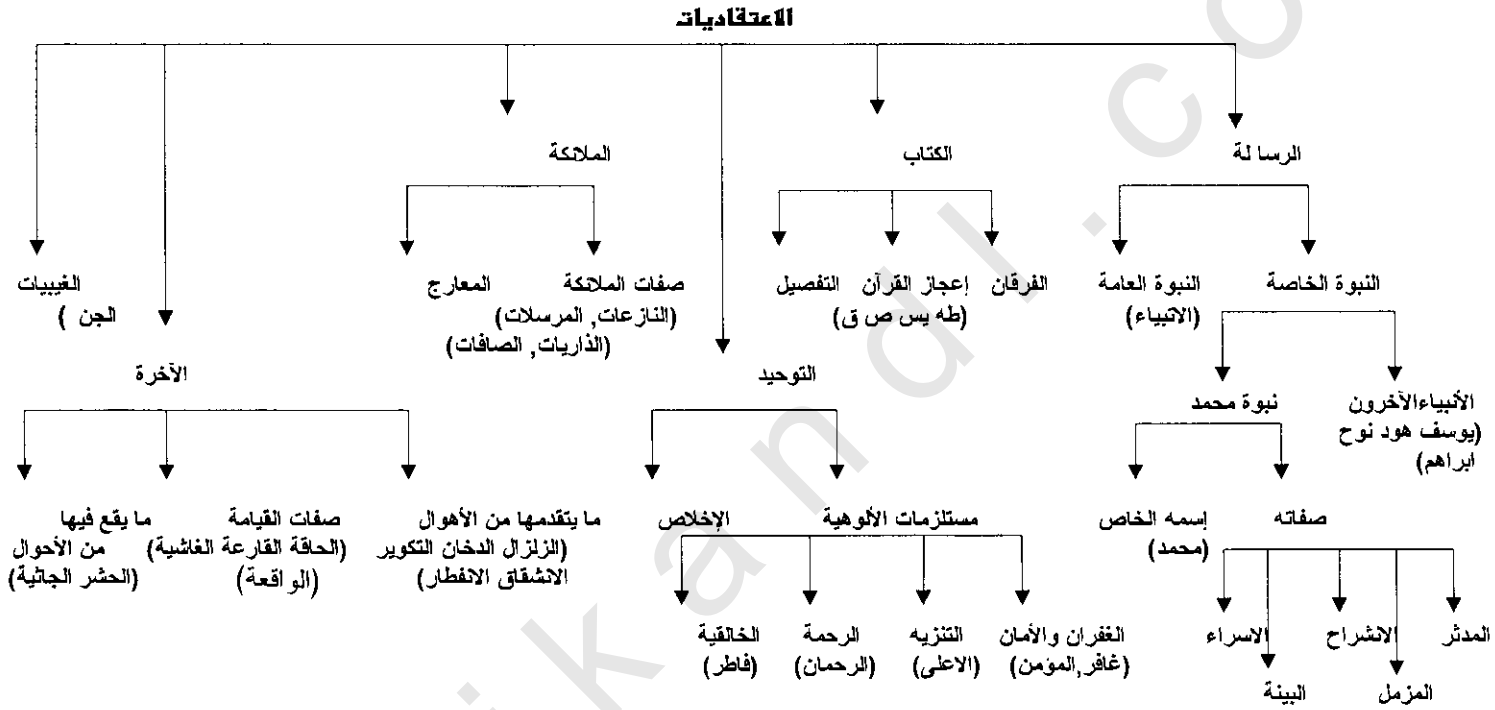

جدول: ٢ أسماء السور التي في محور الاعتقاديات

obeikandl.com

المحور الثاني الكونيات

تمهيد

إن الرؤية التوحيدية إلى الكون التي أهداها القرآن الحكيم إلى البشرية تشكل جزأً هاما من الرؤية المنهجية الإسلامية ودعامة أساسية من نظامها المعرفي فلا مجال لتجزئة نظرة المؤمن إلى الكون والحياة عن النظرة التوحيدية طيلة ما كان متمسكا بهذه الفلسفة التوحيدية التي تجعل من الكون والإنسان والحياة أمرا واحدا مسخرا لقدرة العلي القدير. الكون ليس كائنا مستقلا برأسه يفعل ما يشاء أو يسير كيف ما أراد، ولا يجري الأمور فيه بصدفة عمياء، أو بما هو موجود في ضمنه من تلك القوانين التلقائية، بل هو مسخر لأمر خالق، عليم، مدبر، مريد يسيّره كيف ما أراد ويفعل فيه ما يشاء ولا يخرج أي جزء من أجزاء هذا الكون العظيم الفسيح أو أي حدث من أحداثه من قبضة تصرفه أو من ساحة إرادته، الكل منه وإليه. صنع الله الذي أتقن كل شيء. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۞ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[1]، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

---

١) ق، ٥٠/٦-٨.

ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[1] ، ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾[2] فالكون كله تحت تصرف ذلك المالك العظيم، الرب الرحيم لا ضياع ولا هيام ولا حيرة في الكون أبدا فلا يضيع الكون والحياة - خصيصا بني الإنسان- تحت معاول الكفر بعقليتيه القديمة والحديثة، الكفر الحائر الهائم، الكفر المتمزق البنيان الذي ينزل الألوهية التي تستحق أعلى مراتب التقديس والتنزيه إلى أدنى الدركات دركة الأحجار والأشجار. وكذا لا يتحطم بنو الإنسان تحت قاسي ضربات الوضعية المعاصرة التي تجعل من كل سبب إلها ومن كل قوة معبودا.

ومن الناحية الأخرى إن هذه النظرة التوحيدية تلهم الإنسان كثيرا من الآفاق المعرفية والفكرية وحتى قل التنظيمية أيضا. وهذه الآفاق التفكيرية والمعرفية تفتح أمام بني البشر تلك المجالات الفسيحة التي إنما يظفرون بالكيان الحضاري فيها ويشيدون البنيان الحضاري على أرضيتها. وبدونها لا يمكن أن يصل الإنسان إلى بنية حضارية تفيد الإنسان الفائدة المطلوبة أو تعطي العطاء المنشود. مع أن منطلق الحضارات هو التعامل الواعي المنتج مع الكون، والتعامل الواعي مع الكون إنما يتحقق بالبحث والفحص عن حقائق الكون وأسرار خلقته وقواعد سيره وبديع نظامه وبطريق البحث البصير يتحقق أهم الوظائف

---

١) لقمان، ٣١/١٠-١١.

٢) الأنبياء، ٢١/٣٠.

الإنسانية التي حملها القرآن الإنسان وهو عمارة الأرض، والبحث البصير أول الخطوات الناجحة المثمرة في المشوار الحضاري.

ومن نظرة عابرة على أسماء السور القرآنية يفهم مدى الاهتمام الذي ولاه الإسلام للكون وذلك الاهتمام يفتح أمام المتأمل البصير حقولا خصبة للبحث والفحص، ومن جانب آخر يحرض على البحث والسبر عن حقائق الأكوان. فإذا ضياع مسلمي القرن العشرين تجاه هذه النجاحات الواسعة التي قيدها الإنسان المعاصر إنما هو من غياب روح البحث وغياب الرؤية التوحيدية المنهجية الاستيعابية الملهَمَة من التنزيل المجيد الملهِمَةِ لعقلية حضارية عالمية منقطعة النظير والمثيل من غيابها من عقول المسلمين وتفكيرهم.

ومن جراء غياب هذه الرؤية الواعية والعقلية الناضجة عن مسلمي القرون المتأخرة صاروا إمعة للغير يكتفون بفتات مائدته فبعد ما كانوا سادة وقادة للعالم في غالب مجالات الحياة والعلم والمعرفة صاروا أذنابا لا يؤبه بهم في أي شيء من سوى تلك الأمور التي تسهل استغلالهم أكثر وتجعل نفاد ما لديهم من طاقة أيسر. وبعد ما كانوا مخترعين، مبدعين، كاشفين لأهم حقائق الكون وأسراره صاروا يلهثون خلف أباطيل الغير بلا فهم لمغزاها ولا إدراك لمرماها ولا رعاية لظروفها ولا تفكير في ما تأتي بها من التخريبات والمفاسد الاجتماعية وأهملوا مميزاتهم الذاتية ومقومات أمتهم وجعلوا يلوكون خصوصيات الغير بأحناكهم بلا هضم لها في كيانهم الاجتماعي. وبعد ما كانوا أسوة حسنة

للعالم في نشر الخير والبر وتحقيق العدل والفضائل الإنسانية وسائر الكمالات البشرية صاروا شر أتباع لأسوء متبوعين في التلوث بأرذل الفعال ومنكرات الخصال وسيء الخلال. وهذه هي الداهية الفاقرة والكارثة القاصمة[1] ! فإنا لله وإنا إليه راجعون!

إن القرآن الحكيم أعلن حربا داميا وشن هجوما ضاريا[2] على الكفر وفلسفته وأباطيله وضلالاته الفكرية والأخلاقية والسلوكية و غيرها من كل ما هو داخل تحت اجتماعياته، ففي الدرجة الأولى كان البيان القرآني وخصيصا في عهده المكي- مع أنه لم ينفصم من ذاك الاتجاه الاستدلالي عبر عهده المدني أيضا- يشن الغارة على الكفر من ناحيتين اثنتين: إحداهما إثبات مهالك الكفر ومخاطره وما يتركه من الآثار السيئة في ذويه:

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾[3]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[4]، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ❖ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[5]، ﴿مَثَلُ

---

١) الداهية: الأمر العظيم؛ الفاقرة: الأمر العظيم تأكيد للأول؛ والكارثة: من كرثه الغم إذا اشتد عليه؛ والقاصمة: الكاسرة.

٢) ضاريا: باديا وظاهرا منه الدم.

٣) يونس، ١٠/٦٩.

٤) يونس، ١٠/١٠٠.

٥) هود، ١١/٩-١٠.

الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]، ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[3].

هذه الآيات وأشباهها تبين بصراحة أن الكفر يترك في ذويه أسوء الآثار السلبية حيث يكون الكافر مختل النظر في نظرته إلى الكون فيفقد اتزانه الشخصي ولا يجد عقلية سليمة إيجابية فينعكس من تلك النظرة المختلة في نفسيته آثار سلبية لا يجد منها التوازن والثقة والطمأنينة ويكون تجاه الأحداث سريع الانفعال تراه ييئس من أقل حادثة مرت به إلى درجة التوتر والانخناق. كما تراه في الجانب الآخر بطرا أشرا من أجل أقل غناء وسعة صادفته وكلا هذين الأمرين من أدل دليل على فقدان التوازن عند المرء. وفي الجانب الآخر ترى الرسول الكريم صلى الله عيه وسلم يذكر بكلماته الحكيمة ما تتمتع به النفس المؤمنة من رضى وطمأنينة وصبر وشكر في السراء والضراء:

عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له (أو كما قال) رواه مسلم.

---

١) هود، ١١/٢٤.

٢) البقرة، ٢/٢٥٧.

٣) الحج، ٢٢/١٥.

ثانيهما بينما يشن القرآن الحكيم على الكفر هذا الهجوم الضاري لا يتركه بلا بديل بل يضمن إثبات بديله- وهو العقيدة الحقة- بجميع وجوه الاستدلال العقلي والبرهنة المواتية[1] للمنطق الرشيد والإدراك السليم من هنا يهتم الفرقان المجيد ثنايا آياته البينات بذكر الكون في شتى صفحاته ومختلف مشاهده ومتنوع معارضه ملتقطا من هنا وهناك غرائب وجوه الاستدلال وطرائف أنواع البراهين الملزمة للعقول على القبول وللنفوس على اليقين:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[2]، ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

---

١) من واتاه بمعنى طاوعه؛ م.و.

٢) آل عمران، ٣/١٩٠.

٣) الأنعام، ٦/٩٥-٩٩.

نعم إنه القرآن الذي تفحم فصاحته الفصحاء وتعجز براعته البلغاء ويتحير من معانيه وعلومه العلماء و صدق الله العظيم حيث يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1]

من هنا ولى القرآن شطرا كبيرا من اعتنائه ضمن سوره وآياته نحو سرد مختلف الأدلة الناصعة والحجج الدامغة من شتى مشاهد الكون على قدرة الله ووحدانيته وعظمته وصمدانيته. و كذا أخذ تسميات السور أيضا من هذا الاستدلال النصيب الأوفر والحظ الأكمل فأعطى اهتماما زائدا بالكون بشتى صفحاته في تسمياته السورية ولما أن التسمية القرآنية في المحور الكوني لم تبرز بصورة واحدة وفي وجهة واحدة بل تشعبت إلى الاتجاهات المختلفة شعبنا هذا المحور الكوني إلى شعب ثلاث:

الشعبة الأولى الطبيعة

الفرقان الحكيم ذكر في معرض الاستدلال على الوحدانية الربانية وإثبات الحشر وغيرها أدلة حاسمة وحججا دامغة وبراهين باهرة وجعل القرآن الطبيعة بجميع مناظرها ومشاهدها العلوية والسفلية مختبرا ربانيا يدعو العقول إلى التفكير في مختلف جنباتها[2] فذكر جما غفيرا[3] من شتى المشاهد الطبيعية كما ذكر كثيرا من العناصر التي بها قوام الطبيعة

---

١) الأنعام، ٣٨/٦.

٢) الجنبات جمع جنبة بحركة النون: شق الإنسان وغيره؛ والمراد هنا النواحي.

٣) جائوا جما غفيرا: أي بأجمعهم والمراد هنا جمعا كثيرا.

كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض وغيرها. هذا المسرد القرآني لهذه العناصر والمشاهد الطبيعية يعطينا آفاقا واسعة في كثير من الميادين: الاعتقادية و العلمية والتكوينية التي تشكل مجالا رحبا للتفكر والتذكر والتدبر. وبهذا نحصل على رؤية شمولية عالمية استيعابية تحيط بالكون كله كما نحصل بذاك على نظام معرفي منقطع النظير يمكننا أن نسبك من ذاك النظام المعرفي والرؤية الشمولية منهجية مكتملة الجوانب نسير وفق هداها في تعاملنا مع الكون والطبيعة. كما عقب نفس الطريق أسلافنا الكرام وحينئذ يتيسر لدينا أن نضع أسس حضارتنا بكل مميزاتها الإنسانية وخصوصياتها الإسلامية ولدئذ يتأتى لنا بذاك الروح القرآني أن نسخر الطبيعة انطلاقا من مغزى **وسخر لكم ما في الأرض جميعا** لا لاختراع أسلحة الإبادة الجماعية وتهديد مصير الإنسانية جمعاء وتكثير وسائل الخلاعة والدعارة وتوفير محرضات العربدة[1] والشراسة وتسخير طرق العثو والفساد في الأرض بل لخدمة بني الإنسان خدمة نافعة صالحة رشيدة بلا سرف ولا ترف ولا بطر ولا أشر.

فلما للطبيعة من أهمية غير يسيرة في منهجيتنا المنبعثة من رؤية القرآن الشمولية أعطت التسمية الفرقانية لها مقاما مرموقا فنرى أن أهم مقومات الطبيعة والأركان التي بها تقوم الطبيعة والعناصر التي هي أول ما يلاقيه من الكون نظر بني آدم- خليفة الله في الأرض الذي سخر الله

---

١) العربدة: سوء الخلق وكذا الشراسة.

له ما في الأرض جميعا- مسرودة في التسمية : **الرعد، الفجر، الشمس، القمر، الليل، الضحى (ا لنهار)، العصر، النجم، الطارق، الذاريات، المرسلات، النور، التين، الكهف، الطور**. وكذا أسماء الحيوانات التي جعلت أسماء للسور.

كما نرى أن لذكر البروج درسا هاما إن باعتبار نظرتنا إلى الكون والطبيعة وإن باعتبار ما يفيده من مغزى حول الحض على علم ما في الأجرام العلوية.

هذه الأسماء المسرودة هنا ككونها أسماء للسور القرآنية تشكل أهم دعائم الطبيعة المواجهة للإنسان التي تتلاقى معه دوم حياته والتي تشكل الأسس اللازمة لتلك الطبيعة التي يقوم عليها معاشه. فالذي يلقى أدنى نظرة على أسماء السور يفهم بداهة أن الطبيعة تحتل مكانا كبيرا في نظرة القرآن العالمية حيث يصرح تارة و يرمز أخرى أن الطبيعة مصنع رباني ومختبر سبحاني يتحتم أن يعتمل فيها العاقلون استخراجا لوجوه النفع الكثير فيها :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] ، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

---

١) النحل، ١٦/١٢-١٤.

الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2]

كما أن الفرقان الحكيم يأمر بإلحاح بالغ بالتأمل والتفكر في أرجاء هذا الكون الواسع استكشافا لما أودع الله فيها من أسرار الخلقة وسرائر القدرة:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3]، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4].

الشعبة الثانية الأحداث

إن القرآن بجانب ما يشير إليه من مقومات الطبيعة السالفة الذكر يشير إلى بعض الأحداث الكونية التي لها أهمية خاصة إن في مسيرة حياة الطبيعة وإن في الحياة البشرية وان في البيئة التي يتعايش بنو الإنسان معها. وأهم هذه الأحداث التي أخذت بعض السور القرآنية اسمها

---

١) لقمان، ٤١/٢٠.

٢) الملك، ٦٧/١٥.

٣) الروم، ٣٠/٨.

٤) الرعد، ١٣/٣-٤.

منها: **الفلق**، الفلق حادث كوني له أهمية خاصة حيث يرمز إلى ابتداء هام إما ابتداء النهار الذي له ما له من الأهمية والقيمة سواء في حياة الإنسان وسواء باعتبار ما تنم عنه من ذلك التصرف العظيم الذي يحدث في الكون بقلب الليل الذي جعله الله لباسا لعباده، والذي أظلم جميع آفاق الدنيا إلى النهار الذي جعله الله للناس معاشا، والذي أضاء كل أطرافها وإما ابتداء بروز حياة النبات التي تدل على قدرة باريها العظيم أيضا.[1]

ولكلا الوجهين صلة قوية بالعقلية الواعية التي ينبثق الكيان الحضاري منها.

ومنها: **العلق** وهو أيضا حادث كوني هام خاصة في حياة الإنسان حيث يرمز إلى تلك المرحلة الابتدائية في الحياة الجنينية لبني الإنسان في رحم الأم ذاك الإنسان الذي أعلنه الله خليفة لذاته في عمارة الأرض.

ومنها: الرياح التي سخرت من طرف قدرة الباري تعالى لكثير من الأحداث وشؤون الحياة الطبيعية من المطر، إلى التلقيح، إلى تنظيف الهواء، إلى تبريدها، إلى غيرها من تلك الأحداث العظام التي علقت بالرياح وجعلت ضمن آثارها. فلما للرياح من تلك الأهمية القصوى والمنافع العظيمة والآثار الجليلة كثر ما ردد في القرآن الاستدلال بها على

---

١) ذكر جل المفسرين لكلمة الفلق كلا المعنيين راجع تفسير القاضي، ج ٤، ص ٦١٧، ابن كثير، ج ٤، ص ٥٧٢، النسفي ابو البركات عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل ومعالم التأويل**، دار قهرمان، إستانبول ١٩٨٤، ج ٤، ص ٣٨٦، الشوكاني، ج ٥، ص ٥١٩.

عظمة الخالق وقدرته وكرمز على تلك الأهمية أخذ بعض السور اسمها من بعض صفات الرياح: **الذاريات، المرسلات** على إحدى وجوه المعاني التي ذكرت لكلتا الكلمتين.[1]

ومنها: **الرعد** إذا لاحظناه اسما لصوت السحاب كما ذكره **الراغب الإصفهاني**[2] فهو حادث هام في الأحداث الطبيعية من ناحيتي وجوده وآثاره، حقيق بالذكر حيث كان من أمارات نزول الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فناسب جعله اسما للسورة. وإن لاحظناه اسما لملك له وظيفة محددة في تكوين السحاب وتسييرها فهي داخلة في الغيبيات فيكون التسمية ذو ملحظين أحدهما ما ألمحنا إليه فوق وثانيهما كونه داخلا في جملة الغيبيات التي أسلفنا الذكر عنها.

ومنها: **النور** فهو كأخواته السالفة يحتل مكانة هامة من بين أحداث الكون حيث يقوم الجزء الكبير من شؤون الحياة وتدابيرها وتفاصيلها وإجراآتها ووقوعاتها على النور بما يحتوى من الأقسام. وجل الشؤون الإنسانية أيضا يدور في فلك النور والله سبحانه يخبر عن ذاته الأقدس بأنه **نور السموات والأرض** ويخبر أيضا أنه يخرج أوليائه من الظلمات إلى النور وأن أولياء الذين كفروا الطواغيت يخرجونهم من النور إلى الظلمات. فجدير أن يجرى له ذكر في كثير من المناسبات القرآنية

---

١) انظر القاضي لكلمة الذاريات: ج ٤، ص ٢٩٢ ولكلمة المرسلات: ج ٤، ص ٥٠٠.
٢) الراغب، ص ٣٥٧.

وأن يجعل كرمز لموقعه الحيوي في الكون اسما لسورة من سور القرآن الكريم.

ومنها: **الزلزال** هو أيضا حادث كوني طبيعي هام حيث ينبأ عن قدرة عظيمة تحيط بهذه الكرة وغيرها من جميع دعائم الطبيعة، عن قدرة تهتز الكرة الأرضية ببعض بقاعها حيثما شائت، عن قدرة تدك الجبال دكا إذا ما شائت، عن قدرة تدمر بعض نواحي البسيطة إذا ما أرادت. فالزلزال حادث طبيعي يسترعي أنظار العقلاء إن بصورة وقوعه وإن بما يحدث منها من التأثيرات المهولة المفزعة فناسب أخذ سورة قرآنية اسمها من **الزلزال**.

ومنها: **الدخان** وهو أيضا حادث كوني هام له دلالته العظيمة على شؤون القدرة الربانية والتصرفات السبحانية حيث يعلو في مرأى العين على طبقات الجو وهو وضيع.الدخان حادث له أهميته من جانب ما يجري من وظائف كثيرة تنبيهية ودلالية فناسب ذكرها في التسمية.

هذا إلى جانب ما قدمنا من أن **الزلزال والدخان** نظرا إلى المنطلق القرآني حول كلمتي الدخان و الزلزال في نفس السورتين لهما صلة وثيقة مع القيامة حيث هما من الأهوال التي تتقدمها.

وصلة ذكر جميع هذه الأمور بالنظرة الحضارية باد لكل أحد له إلمام بما قدمنا من المضامين والمعاني في أول المحور. وأبرز جوانب هذه الصلة أن في ذكر الكل مما قدمنا ومما سيأتي في باقي المحور أمرا بالتأمل فيها والبحث والفحص عن ماهياتها وعلاقاتها وملابساتها وهذا التأمل

الجاد والبحث الحثيث والفحص الدقيق هو صلب النظرة الحضارية التي هي أول اللبنات في البنيان الحضاري.

الشعبة الثالثة البيئة

إن البيئة التي يعيش فيها بنو الإنسان و التي كانت جزأ لا يتجزأ ولا يمكن أن ينفصم - بأية صورة كانت- من جميع مراحل حياته والتي تآلف البشر معها بصورة لا غناء له عنها إن تلك البيئة مهددة اليوم بصورة رهيبة مفزعة من طرف الحضارة الغربية بما تتضمن من تلك الأحداث والتصريفات والإجراآت التكنولوجية التي تهدد لا البيئة فقط بل الحياة بجميع أنواعها ومضامينها فكلما تقدم الزمن مع الحضارة الغربية وتطورت التكنولوجيا الحديثة شيئا آتت بشيء أرعب وأرهب من ذي قبل في تهديد البيئة ومن ثم مصير الإنسانية ومصير الحياة على وجه هذه البسيطة.

صارت الحضارة المعاصرة عبارة عن كتلات الإسمنت وركام من القصدير والكوابل والبلاستيك فبلغ الأمر إلى أن الإنسان أينما اتجه قابله جبال من الحديد والفولاذ وأكم من البلاستيك وفضلات الصناعة، وأدى ذلك إلى انقراض كثير من أنواع الحيوانات، خذ من هذا إلى تلوث الهواء بالغازات السامة وضوضاء المصانع وصخوب الموتورات والماكينات الصناعية، إلى تهديد المراكز النووية للأحياء والبيئة، إلى انتشار المواد الكيميائية انتشارا هائلا في المواد الغذائية من جراء ما

يستعمل من السماد الصناعي والأدوية الزراعية والهورمونات. جميع هذه الأمور يسبب كثيرا من المشاكل والأمراض من العقم المتسبب عن موت الحوينات المنوية في السائل المنوي وضيق النفس وغثيان المعدة والسرطان والتسمم وكثير من الأمراض الجلدية.

كل هؤلاء إلى جانب أن حدود الغابات الخضراء في برازليا تتقهقر كل عام من عشرة إلى خمسة عشر كيلو مترا وأن ثمانين بالمائة من المياه العذبة في الاتحاد الأمريكي تلوثت بالفضلات الصناعية وأن المصانع و السيارات في الاتحاد الأمريكي تبث في الهواء كل عام ٢٣٠ مليون طن من الغازات السامة ؛ وأن المراكز النووية في فرنسا نشرت في الهواء ١١٤ طنا من غاز الككرت واثنين وثمانين مليون طن من الدخان لعام ١٩٦٠ ؛ ورغم بعض التدابير صعدت الأرقام لعام ١٩٦٨ إلى ضعفيها ؛ وفي ألمانيا يقع سنويا على مدينة من مدن منطقة روهر ٢٧ ألف طن من الأدخنة الصناعية. ونتيجة لما يحيط ببيئتنا من هذه الأمراض الفتاكة تفيد الأرقام أن وقائع الأموات الواقعة بسرطان الرئة في الاتحاد الأمريكي ضاعفت في الأعوام العشرين الأخيرة خمسين ضعفا وضاعفت في كل من بريطانيا وسويسرا في الأعوام الخمسين الأخيرة أربعين ضعفا[1]. فهذه نسبة قليلة من الفاتورة التي تبين ما تعانيه البيئة والإنسانية من جراء الحضارة المعاصرة ؛ وتدل على الخطر الداهم على كليهما منها.

---

١) عاليا، المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠١.

لكـل هـذه الأوضـاع الرهيبـة يلاحـظ المراقبـون علـى شـؤون المجتمعات أن الإنسانية اليوم في شقاء بالغ وتعاسة فظيعة انطلاقا مما قيده الحضارة الغربية في الدمار الجماعي من التطور الهائل الذي لم يأت إلى اليوم للإنسانية بقسط كبير في الصلاح والخير من سوى إشباع النهم الاستغلالي للرجل الأبيض وأذنابه اللئام وإفساح المجال لهم وحدهم كي يستغلوا جميع ثمرات الأرض وخيراتها فيستعملوها بطمأنينة وأمان في سبيل إرضاء شهواتهم وإرواء غليل أهوائهم لم يأت للإنسانية بخير كبير إلا شيئا مما يساهمه بعض المعطيات التكنولوجية الصناعية في بعض مجالات الخير والصلاح التي تبقى طفيفة تافهة تجاه ما تسببه تلك الحضارة من عثو وفتنة وفساد في الأرض كبير فمن هنا يسمي زبكنـــف برزينســكى (Zbingniev Brezinski) مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض لعهد جمي كارتر في كتابه المسمى : "دنيا خرجت من المراقبة" يسمي القرن العشرين " عصر الأموات العظيمة" ويقول إن عدد من قتلوا وأبيدوا بسبب الحروب الطاحنة والثورات التي وقعت في القرن العشرين أكثر من جميع من قتلوا في جميع الحروب والاضطرابات والفتن التي خاضها بنو الإنسان عبر جميع تاريخهم الطويل فإن عدد من أبيدوا في القرن العشرين- كل ذلك طبعا كان بما أتاحت الحضارة الغربية الحديثة من إمكانيات الدمار الجماعي من الطائرات الحربية إلى القنابل الذرية- مائة وخمس وسبعون مليون نسمة.[1] هذه الأرقام عدا من قتلوا في

1) İbrahim Özdemir- Münir Yüksel Çevre Sorunlar ve İslam DİB yay. Ankara 1995 s. 13

الخمس الأخير من القرن في أفغانستان وحرب الخليج وحرب إيران مع العراق وحرب البوسنا والكوسوفا والشيشان وعدا من قتلوا في زنازن الطغاة والظالمين تحت براثن التعذيب والاضطهاد وعدا من قتلوا بالتخطيط الدولي في كثير من البلاد.

فانطلاقا من هذا الحاضر المخيف اهتم كثير من الذين يهمهم شؤون الحياة والمجتمع والبيئة من الغربيين والمسلمين بالبيئة وأعلنوا للجهات المختصة بعظم الخطر الناجم من التعدي على الطبيعة والذي على وشك الحلول بديارهم إن لم يأخذوا التدابير اللازمة لتطهير البيئة وصاروا يدعون بإلحاح وإصرار إلى الحفاظ على هذا الوسط الطبيعي الذي نعيش فيه أي ما نسميه البيئة وصاروا يبحثون كثيرا ويتفكرون طويلا ويكتبون جزيلا حول كيفية الحفاظ على البيئة وجميع ما فيها وينبهون أرباب الصنائع والمصانع الحديثة والمؤسسات الصناعية العظيمة على مدى تلك المفاسد المدمرة الناتجة عن سوء تعاملهم مع البيئة إن بتلويثها بالفضلات الصناعية وإن بما يحدثون في الطبيعة من الاختلال أويسببونه من غياب الاتزان الطبيعي من جراء تلك الاعتداءات الشنيعة على بعض عناصر البيئة تحقيقا لمآربهم الشخصية ومن أجل ما يحققونه من التبذير والإسراف المرهب في المصادر الطبيعية.

إن القرآن ككونه كتابا عالميا يخاطب جميع البشر في جميع الأزمنة والأمكنة وعلى كل المستويات وككونه كتابا ربانيا يرشد العالم إلى جميع خيري الدنيا والآخرة وككونه كتابا قيوميا نزل من قيوم

السموات والأرض يحافظ على شبابته وطراوته مدى العصور ويلبي حاجات بني الإنسان عبر القرون ففي أي مجتمع كان وعلى أي مستوى كان إذا عرضت مشكلة إنسانية يمكن أن تجد لها بين غضون الآيات حلا فطريا سليما وجوابا وسطا عادلا صائبا.

من هنا نرى أن كثيرا من تلك المشاكل الجمة والنوائب الضخمة التي انتابت[1] البشرية من حداثة القرن العشرين يوجد لها حلول رشيدة سليمة وأجوبة رصينة حكيمة موائمة لجبلية الإنسان والمجتمع بين دفتي الكتاب المجيد إذا تبصره متبصر وتأمله متأمل فنعم المرجع هو! ولمنزله الحمد والمنة.

انطلاقا مما مر بنا من المعلومات نستطيع أن نقول لا ريب أن من أهم ما يقض مضجع الإنسانية في القرن العشرين من المشاكل هو مشكلة البيئة وما ينتابها مما تهبط به الطبيعة من ذلك الإسراف والتبذير، والاعتداء والتغيير، والعبث والتزييف التي يقوم بها الإنسان المتحضر بمخالب التكنولوجيا الحديثة: إن نسل كثير من الحيوانات- التي تحيط بنا في بيئتنا وتنظف وتزين ما حولنا بما وهبها الله من القوى وألهمها من الكفاآت- على وشك الانقطاع كما انقطعت مآت الأجيال منها - وقد أسلفنا- وهي حقا أهم القضايا البيئوية فكان من مقتضى الحكمة القرآنية ذكر تلك القضية الهامة إما إعلانا وتصريحا أو رمزا وتلميحا فنرى أن

---

١) انتابه: أي أتاه مرة بعد أخرى.

القرآن المبين ولى شيئا من عنايته الحكيمة نحو هذه القضية الهامة بكلا وجهيها التصريحي والتلميحي:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾[1]، ﴿فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[2].

انطلاقا من هذه النقطة نرى أن ذكر في القرآن الحكيم كثير من العنا صر التي تشكل البيئة من أسماء الحيوانات إلى الرياح والمياه والجبال والأحجار والأشجار وغيرها نقدم هذه الآيات كشاهد على ما قلنا:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ ۞ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[4]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ

---

١) البقرة، ٢/٣٠.

٢) المائدة، ٥/٣١.

٣) النحل، ١٦/٦٦-٦٩.

٤) الفرقان، ٢٥/٥٣.

أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1].

فمن نظرة عابرة على هذه الآيات الربانية يتبين مدى اهتمام القرآن البالغ بالبيئة الطبيعية التي تحيط بنا وتشكل لنا مشاهد تسرح فيها النفس الإنسانية كي تقتطف وتجنى منها ثمار العلم والحياة والتفكر والتدبر في قدرة باريها كما تشكل منافذ فطرية ينفذ منها الإنسان إلى الطبيعة والكون لأن يطلع على الأسرار التي أودعها فيه صانعه الذي أتقن كل شيء.

تنبيها لبني الإنسان على ذلك كي يعرف قيمة بيئته نرى أن وضع كاسم لسور كثيرة من القرآن تلك الأسماء التي تدل على أهم عناصر البيئة التي فقدها ينبه الإنسان على أن بيئته المحيطة به في خطر وأن الاتزان الذي كان من ضروريات الحياة على وشك الاختلال والاختزال وعلى قرب من الانقطاع والانفصام وذلك العنصر الهام في البيئة هو الحيوان و تلك الأسماء التي تنبئنا عن قيمة البيئة وتدلنا على أهميتها: **البقرة، الأنعام، النحل، النمل، العنكبوت، الفيل.**

غير ناسين أن في اختيار أسماء هؤلاء الحيوانات في التسمية بها من بين آلافها لطيفة أخرى وهي أن اثنين منها وهي **البقرة والأنعام** أهليتان **والنمل والعنكبوت والفيل والنحل** من تلك الحيوانات التي تعيش

---

١) فاطر، ٣٥/ ٢٧-٢٨.

قريبة من بني الإنسان وفي بيئته القريبة منه فدورها البيئوي أظهر للإنسان من غيرها.

كما نرى في الجانب الآخر أنه رغم اهتمام القرآن المزيد بأهم عناصر البيئة وهو الحيوان ـ وانطلاقا من هذا أخذت سور ست أسمائها من أسماء مختلف الحيوانات- لم يترك بعض تلك العناصر البيئوية الأخرى في تسمياته، فمن المشاهد البيئوية التي اكتسبت قيمة بيئوية بما تدل عليه من المنظر المثير للعجب حينا وللتذكر لما مضى من إحدى صفحات التاريخ حينا آخر ذكر: **الكهف**،

ومن العناصر البيئوية الطبيعية الثابتة المستمرة ذكر: **الطور** (الجبل)، وهو أهم المشاهد الطبيعية البيئوبية التي يصادفها الإنسان دوما في حياته اليومية كما أنه من أهم ما يجدر أن يسترعى أنظار بني البشر إلى قدرة خالقهم العظيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾[1]، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[2].

ومن العناصر البيئوية المتغيرة المحدثة فيما بعد بإنشاء الإنسان والتي هي كرمز على ما ينشئه بنو الإنسان في بيئته ذكر: **البلد**. لأن البلد (بمعنى المدينة) لم يزل فيما مضى - ولا يزال- مهدا للحضارة الإنسانية ومركزا هاما فعالا للمدنية البشرية ومن هنا أخذ المدنية اسمها من المدينة التي هي مرادفة للبلد.

---

١) المرسلات، ٢٧/٧٧.

٢) النبأ، ٦/٧٨-٧.

كما ذكر في التسميات السورية الرياح التي أسلفنا كثيرا من فوائدها والتي لها تأثير بالغ في الاتزان البيئوى وسيره الطبيعي: المرسلات، الذاريات على إحدى الوجوه المحتملة في تفسيرهما.[1]

ولم يترك أيضا في التسمية الشجرة التي هي أيضا من أهم العناصر البيئوية، ومن بين شتى أجناس ذلك العنصر الهام ذكر شجرة لها صلة وثيقة ببيئة الإنسان حيث هي مما يصادفه الإنسان في الأوساط الموجودة هي فيها يوميا: التين.

هذا إلى جانب أن ما ذكرنا في شعبة الطبيعة كلها يشكل مثالا حيويا للنموذج البيئوي أيضا، علما منا أن كثيرا من أسماء السور ذو اتجاهات متعددة بما تحتمله من وجوه المعنى أو بما تحمل طبيعة المعنى المدلول عليه باسم السورة من وسعة الاتجاه التي تجعله صالحا لأكثر من اتجاه واحد وقد أشرنا إلى ذلك قبل.

إن هذا الاهتمام الزائد بالطبيعة والبيئة في هذه التسمية السورية التي لا تعدو أن تكون كفهرستة للقرآن الحكيم يعطى من ألقى عليها نظرة المتأمل ـ الفاحص عن وجه الحكمة في كل شيء في القرآن ـ من المؤمنين رسالة هامة ودرسا بليغا حول مسؤولية التعامل مع الكون بما فيه الطبيعة والبيئة وهو أن تعاملنا معاشر المسلمين مع الكون ـ ذ لك التعامل الذي يلهمنا القرآن إياه و يأمرنا بالانتهاج في مناهجه- تعامل الباحث

---

١) راجع لتفسير الذاريات القاضي، ج ٤، ص ٢٩٢، ولتفسير المرسلات: نفس المرجع: ج ٤، ص٥٠٠، الشوكاني، ج٥، ص ٣٥٥-٣٥٦، ابن كثير، ج٤، ص ٤٥٨-٤٥٩.

الفاحص المتعلم لأسراره والمتفهم لصنوف الحكم الإ لهية فيه والمتطلب لوجه الاستفادة منه وتسخيره لصالح بني البشر في سبل الخير والهدى وعمارة الأرض- التي هي من أهم وظائف الاستخلاف الذي حمله الله بني البشر- والنفع العام للكافة لا للخاصة فقط ولا في صورة الاستهلاك الحثيث والدمار الجماعي - كما ينفخ الحضارة الغربية تلك الصورة الحضارية الضارة كأشد ما يكون لا في أبناء أمتها فقط بل في الإنسانية جمعاء ومن هنا تتسابق أمم العالم اليوم تحت إشراف وسيادة تعاليم الحضارة الغربية في إبداع الأسلحة التي تكون أضر وأنكى بالإنسانية جمعاء- بل في سبل البر والإحسان والصلاح العالمي وفي سبل تأمين وتحقيق الباقيات الصالحات وهي خير عند ربك للمتقين.

كما أن في هذه التسمية الحكيمة حضا وحثا على تعلم علوم الكون وأسراره وهو جزء هام من نظامنا الفكري والمعرفي حيث ان القرآن كثيرا ما يستدل بمختلف مشاهد الكون ومناظره الطبيعية ويأمر بالتفكر والتدبر في مواده وأحداثه والتصريفات والتقلبات الواقعة فيه وكثيرا ما يمتن على عباده بأنه سخر لهم ما في السماوات والأرض كما سبق أن ذكرنا جملة من تلك الآيات المعربة عن التسخير ويأمر أيضا في كثير من بينات فرقانه بالأ كل مما في الأرض حلالا طيبا والأكل الذي هو رمز على جميع وجوه الانتفاع* - حسبما أرى- لا يمكن أو لا

* نرى أن الأكل هنا ليس بالمعنى المعروف في الأكل وهو المضغ بالأسنان ثم بلعه بل المعنى المناسب لشمولية معاني القرآن وجا معيتها أن يكون الأكل رمزا على جميع وجوه الانتفاع والتمتع من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومسكن وغيرها من جميع وجوه

يوصل إلى درجة الفضل والكمال فيه إلا بتفهم أسرار الكون والطبيعة وكشف مخبوآت حكمهما وإبراز بديع دقائق الصنعة فيهما وليس المطلوب و المحصول من العلوم الكونية إلا ذاك، وهذه العقلية التي يمليها الفرقان المجيد على الجامعة الإسلامية بإلحاح وإلحاف أولى اللبنات الأساسية للبناء الحضاري وهذه العقلية الجامعة هي التي ينفجر منها جميع طاقات العلم والمعرفة الموجودة لدى أية أمة ما وعندئذ تتحول الطاقات إلى النشاطات الواقعية فتوجه الفرد والأسرة والمجتمع من جديد ويبدأ عمل بناء التاريخ من جديد وتكون الحضارة حينئذاك آخذة طريقها إلى جميع مسالك الحياة تلونها بلونها الجديد. ولا يستطيع أية عرقلة أن تعرقلها في مسيرتها مادامت تلك العقلية الجامعة نابضة فيها بالحياة.

نعم إن تراجعنا نحن المسلمين- الحضاري لم يكن إلا من غياب هذا العقل الفاحص المتأمل المبدع والعقلية الجامعة المبدعة عنا مذ زمن غير قريب فترك مكانه لعقل تقليدي يرضى بالتطفل على مائدة الغير أو بالتقاط فتات خوان الأجانب فيا لها من فضيحة وخزي وعار عظيم! علما منا أن ذاك بمنأى عن العقل القرآني الذي يهبه القرآن للبشرية: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[1]، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا

النفع المترتبة على التسخير الذي يمتن الله به على عباده، ويمكن أن يستأنس على ذلك المعنى بجمع الطيبات في بعض الآيات و ذكر الرزق في البعض الآخر.

١) الروم، ٨/٣٠.

﴿اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

لا نكون ممتثلين لأمر هذه الصيحة الربانية التي تدوي في الكون كله أكثر من أربعة عشر قرنا ما دمنا لا نرفع مستوانا الفكري والمعرفي الذي إذا أتقناه اهتدينا إلى سبل تسخير الكون لصالح البشر بلا إسراف ولا تقتير ولا اعتداء ولا تبذير والذي عسى أن نلحق به الركب الحضاري الذي سبقنا وفاتنا مذ أمد طويل مشاهدين أن أعظم القوى التي يتسلح بها إنسان القرن العشرين لا جرم هو العلم والفكر و المعرفة ثم التقنية الناتجة منها.

---

١) الأنفال، ٨/٦٠.

obeikandl.com

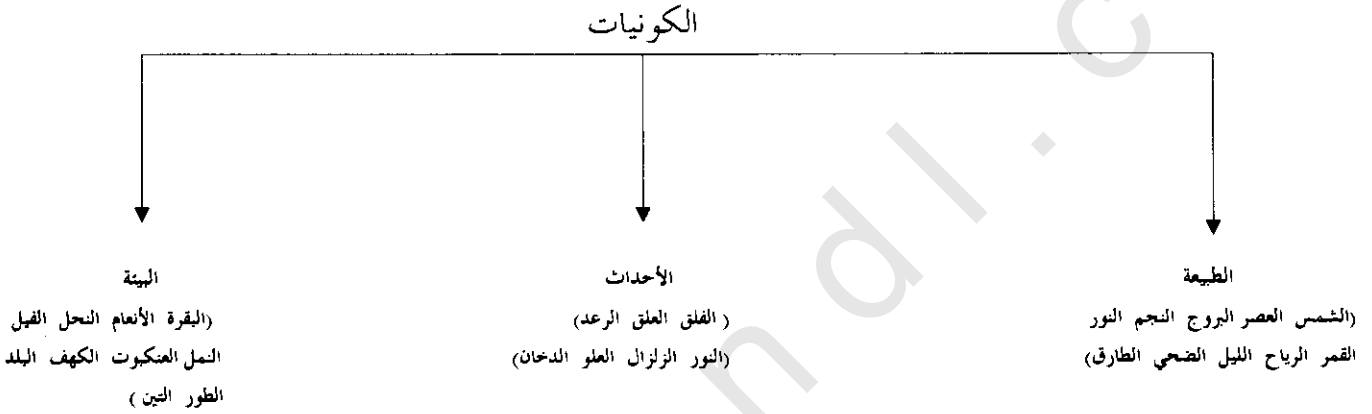

جدول: ٢ أسماء السور التي في محور الكونيات

obeikandl.com

المحور الثالث الاجتماعيات

تمهيد

إن الكيان الحضاري لكل قوم وشعب إنما يتمخض أكثر ما يكون من تفكيراتها الفلسفية ونظراتها الاجتماعية، ومنظماتها التوجيهية ومؤسساتها الجماعية فعندئذ إن الذي يعين الصبغة الحضارية إنما هو اللون الاجتماعي تفكيرا وتنظيما ونظرة وفلسفة لا غير فالجانب الاجتماعي لأمتنا الملهم من الدروس القرآنية التي تتلى على البشرية منذ أربعة عشر قرنا هو الذي يلعب أكبر الدور في تشكل كياننا الحضاري علما منا أن أية أمة لا تكون لها ميزات وخصائص ومقومات حضارية نابعة من خالص كيانها الاجتماعي لا يقام لها وزن ولا تكون لها قيمة في المحافل العالمية ولا في عالم القيم الذي يريد أن يجعل من نفسه حكما على التاريخ والأمم.

ثم إن تلك الأمة التي لا تريد أن تصهر الأطر الحضارية في بوتقته المتكونة من عناصرها الاجتماعية الناتجة من هويتها الذاتيتة بل تلهث خلف عناصر ومكونات حضارات الغير وتستوردها من الخارج كما هي في القوم بلا معالجة ولا تهذيب ولا تشذيب[1] فإلى جانب تطفلها الذي ينعكس منه آثار سيئة على نفسيات أفراد تلك الأمة وجماعاتها حيث تتكون فيهم من مركب النقص إلى كثير من العقد النفسية فإلى جانب ذلك التطفل المخزي تفشل أيضا فشلا ذريعا في استكمال بنيانها

---

١) التشذيب: الطرد وإصلاح الجذع؛ والمراد هنا الإصلاح على التجريد.

الحضاري أيضا لأن البنية الاجتماعية لأية أمة ما لا تقبل الأمور الخارجية فيها إلا بعد انهيارات كثيرة وتضحيات بالغة ومتلفات زائدة من القيم والمبادئ التي هي عناصر كيانها الاجتماعي. وكل هذا يدل دلالة ظاهرة على مكانة الاجتماعيات الهامة في تكون الخصائص والبنيان الحضاري والثقافي لأية أمة ما من جانب وإبرازها إلى الساحة من جانب آخر. ومن هنا ذهبت أدراج الرياح سدى تلك المحاولات الكثيرة التي بذلت من بعض البلدان الإسلامية لاستيراد الحضارة الغربية بعجرها وبجرها بلا نقد ولا تمحيص ولم ينجحوا في ذلك وسببوا - من سوى إهدار طاقات كثيرة للأمة- اختلالات واضطرابات كبيرة على الصعيد الفردي والاجتماعي كليهما في مجالات الأخلاق والقيم والعقائد كلها.

فنرى أن ما للاجتماعيات من هذا الدور الحضاري الهام هو السبب -والله أعلم- في غلبة النزعة الاجتماعية على التسميات السورية لأن الرسالة التي أتى بها القرآن تهدف تنظيم الحياة الإنسانية في جميع نواحيها التي أهمها الجانب الاجتماعي وتهتم بها إلى أقصى الحدود، ونتيجة لذلك الاهتمام ترى في الغالبية العظمى من جوامع الحديث النبوي موضوع الأدب والبر والصلة والأخلاق الحسنة تغطي مساحة واسعة منها. فكان لزاما أن تحتل الاجتماعيات في التسمية القرآنية مكانا هاما تفوق على أخواتها من المحاور كمّا وإحاطة بما لابد منه من التفصيل والتشعيب.

من جانب آخر الفرقان المجيد ككونه كتابا يهدى البشرية إلى جميع معالم الخير والهدى يعتني بجميع نواحي الحياة ويضع لها الأسس الموائمة و القواعد المنسجمة مع نزعة البشر الإنسانية وجبلته فلا يمكن أن يهمل ما يتركز عليه حياة الفرد أو الجماعة بلا مساس ولا تفصيل ولا توضيح. لذا ترى أنه لا يخلو كثير من تلك السور القرآنية عن تنظيم جانب من جوانب الحياة سواء في الحياة العقدية والتعبدية أو غيرها من نواحي الحياة الكثيرة وهذا التنظيم هو الحكمة العليا والسر الأسنى في التنزل القرآني إلى الإقليم البشري: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

إن القرآن حينما يهدف تنظيم الحياة في محور التوحيد من جديد آتيا في سبيل ذلك جميع ما لابد منه من وسائل التعقل والتدبر والاستبصار والاعتبار والاستذكار لا يعرض الأمور عرضا عشوائيا مفكك الأوصال أو عرضا فلسفيا معقد البيان أو عرضا مغمورا بالقواعد الفنية أو مطموسا بالمصطلحات العلمية بل يسلك طريقا بينا واضحا نير الجوانب، مستبين المعالم، مستنير المسالك، سهل السلوك، غير متوعر على أصحاب الفطر السليمة، يسلك في ذلك طريق الباحث

---

١) الجمعة، ٢/٦٢.

٢) الشورى، ٥٢/٤٢.

المتبصر بجميع نواحي ذلك الجانب الذي يتعرض له. من ذا ترى الفرقان المبين أتى بثورات عظيمة وانقلابات عجيبة في جميع تلك النواحي التي استهدف تغييرها وتأسيسها من جديد من العقائد إلى الأخلاق، من التنظيم الفردي إلى التنظيم السياسي، من شؤون الأسرة إلى أمور المجتمع قاطبة.

إن نظرة القرآن التوحيدية إلى الكون وجميع ما فيه تلمس ملامحها الإيجابية ومعالمها النيرة وانعكاساتها الطيبة في مجموع ما أتى به القرآن من المساحات التشريعية الكثيرة والمجالات التنظيمية العديدة كما أن تلك النظرة التوحيدية تبرز آثارها في مقاربات القرآن إلى نواحي الحياة الأخلاقية وغيرها من جميع تلك النواحي الجمة التي يتعرض لها القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1].

فعندئذ الاجتماعيات من حيث إنها من أهم المحاور التي تدور الحياة في فلكها والتي تلوح فيها القسمات التوحيدية أكثر من غيرها لابد أن يتكثف حولها شيء من البيان القرآني تنظيما وهداية وإيضاحا وتفصيلا. وإلا فالعقيدة الوجدانية المحبوسة في مشاعر الضمير ونبراته فقط التي لا صلة لها بالحياة وتنظيمها وتوجيهها تكون أضعف من أن تقاوم موجات الحياة العارمة[2] وتوجهها الوجهة الصالحة التي تظهر فيها شعائر العبودية الصادقة لله والتسليم وفق أوامره. أما الإسلام فبراء من

---

١) الإسراء، ١٧/٩.

٢) العارمة: الشديدة.

كل ذلك الوهن والخلل والضعف وهذا هو الذي يفهمه من الإسلام كل من لديه أدنى علم بالإسلام ولم يكابر عن قبول الحق بما يخفيه في صدره ضد الإسلام من الحقد والشحناء أو بما أغراه عليه بعض سادته الحاقدين على الإسلام وذويه. ترى **محمد أسد** حينما يعرب عن سبب إسلامه يقول حول قضية أهمية الاجتماعيات ومكانتها في الإسلام:

"ولا أستطيع أن أقول أي النواحي (من الإسلام) قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضا ويشد بعضها بعضا فليس هناك شيء لا حاجة إليه وليس هناك نقص في شيء فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص..." ثم يقول بعد كلام: **"هذه الدراسات و المقارنات خلقت فيّ العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهته الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين أعظم قوة نهاضة بالأمم عرفها البشر"**[1] وحينما يذكر الهدف من تأليفه كتابه **الإسلام على مفترق الطريق** يقول: **"وهذا الكتاب... كتب على الأصح لأولئك الذين لا يزال يحيا في قلوبهم شرارة من ذلك اللهيب الذي كان يضطرم في قلوب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اللهيب الذي جعل الإسلام فيما مضى عظيما بنظامه الاجتماعي ورقيه الثقافي"**[2] ونجده أصرح بالحقيقة في موضع آخر من كتابه: **"إننا نعتقد أن الإسلام**

---

١) محمد أسد، **الإسلام على مفترق الطريق**، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧، ص ١٥-١٦.

٢) المصدر السابق، ص ١٦.

بخلاف سائر الأديان ليس اتجاه العقل اتجاها روحيا يمكن تقريبه من الأوضـــاع الثقافية المختلفة، بل هو فلك ثقافي مستقل ونظام اجتماعي واضح الحدود..."[1]

ونراه يشرح كلامه هذا في محل آخر: "إن فكرتنا عن وحدانية الله يجـــب أن تتجلى في سعيها للتوفيق والتوحيد بين المظاهر المختلفة في حياتنا.

هناك نتيجة منطقية لهذا الاتجاه هي فرق آخر بين الإسلام وسائر النظم الدينية المعروفة. ذلك أن الإسلام – على أنه تعليم (مبدأ يتقيد بـــه النـــاس في حياتهم الروحية)– لا يكتفي بأن يأخذ على عاتقه تحديد الصلات المتعلقـــة بمـــا وراء الطبيعة فيما بين الأرض و خالقه فقط، ولكنه يعرض أيضا -بمثـــل هـــذا التأكيد على الأقل– للصلات الدنيوية بين الفرد وبيئته الاجتماعية"[2]

وتراه يقول في كتابه الآخر:

"...وهكذا فقد كان طبيعيا أن النظام الذي أعلنه النبي محمد صلـــى الله عليه وسلم في السنوات الثلاث والعشرين من رسالته لم يختص بالشؤون الروحية فحسب بل زود إطارا لكل نشاط فردي واجتماعي أيضا. إنه لم يبسط مفهـــوم الصلاح الفردي فحسب بل عرض أيضا مفهوم المجتمع العادل الذي يجـــب أن يوجده ذلك الصلاح. لقد قدم مجمل المجتمع السياسي... كما قدم نظاما للحقوق الفردية والواجبات الاجتماعية."[3]

---

١) المصدر السابق، ص ١٨.

٢) المصدر السابق، ص ٢٤.

٣) محمد أسد، الطريق إلى الإسلام، ص ٢٤٣.

قبسنا كل هذه الكلمات عن محمد أسد لأنه -وإن أسلم- لا يزال غربيا جمع جمعا جيدا بين كلتا الثقافتين الإسلامية والغربية فربما يكون في مقالاته هذه مقنع لبعض هؤلاء الذين يغمضون أعينهم عن اجتماعيات الإسلام ونظمه الاجتماعية ويحاولون بإلحاح بالغ أن يحصروا الإسلام في الروحيات والأخلاقيات وحدهما و يعلنون مكابرة مع الحق الصريح وإرضاء للباطل القبيح أن الإسلام عبارة عن نظام روحاني لا يقدم للإنسان من سوى إطار أخلاقي فقط.

وإذا لاحظنا التنظيم الاجتماعي والتوجيه الجماعي في الإسلام من خلال نصوص القرآن رأيناه مؤكدا بجلاء ووضوح عبر الآيات القرآنية من مبدئها إلى منتهاها:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ❖ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ❖ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]، ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ

---

١) المائدة، ٥/٤٨-٥٠.

كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[1]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[2]، ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

فلما للاجتماعيات من هذه الأهمية القصوى والمكانة العظمى احتلت مكانا هاما في التسميات السورية ويبدو السمة الاجتماعية في ما يقارب من نصف أسماء سورها ولكن كل ذلك ليس في فرع واحد أو شعبة واحدة من شعب الاجتماعيات بل سلطت التسمية السورية الأشعة على شتى مجالاتها من هنا نرى أنه يتفرع هذا المحور إلى فروع رئيسية خمس: التاريخ والأدب والأخلاق والدين والتنظيم بما أن فرع التنظيم أيضا ينقسم إلى فروع خمسة، فكان المجموع عشرة فروع. وهي التي تضم بين جنباتها غالب نواحي الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية إذا كانت منظمة بإتقان كامل وسياسة رشيدة وثبتت على أرضية محكمة من التبصر والمعرفة بأمور الحياة عامة وشؤون الفطرة والمجتمعات خاصة.

---

١) النساء، ٤/٥٨.

٢) النساء، ٤/١٠٥.

٣) النور، ٢٤/٤٧-٥١.

الفرع الأول التاريخ

إن الإنسانية متحركة غير ثابتة آتية من خلف شواهق الماضي عابرة بصحارى الحال قادمة إلى وديان المستقبل وحينما تأتى من الماضي تأتى معها بلفيف من حكايات الماضي وصور أحداثه ووقائعه ومعارفه ومعلوماته وتلقيها في محافل الحاضر وذلك اللفيف من ذكريات الماضي يكوّن الكيان التاريخي للأمم والشعوب وهذا الكيان التاريخي يتضمن بين طياته الكثير الكثير من العبر والدروس والعظات والمفاخر والمآسي ويشتمل على كثير من الذكريات العاطرة الفاخرة والشائنة المهينة وهو أهم العناصر التي يتكون منها الكيان القومي لأية أمة كانت كما انه من أعظم أجزاء الهويات التي تكوّن الكيان الثقافي لها ومن أكبر المقومات للشخصية الاجتماعية لأي شعب ما. وقوم بلا تاريخ كولد زنيم لا يعرف له نسب ولا سبب، فغالبا ما لا يبقى له حسب أيضا لأنه بين أقرانه ذليل خاشع البصر لا يرفع رأسه أبدا فكذلك الأمة التي لا تاريخ لها خاشعة الطرف بين الأقوام الأخرى لا حسب لها ولا نسب .

وهذا الكيان الذي نسميه التاريخ مصدر ثر و نبع فياض ملهم لكثير من الأمور الرشيدة النافعة ونبراس مسطاع يهتدي به آتي الأجيال إلى خيري الدنيا والآخرة. كما أنه من أهم المقومات الحضارية. فكلما ازداد استبصار الأمم بماضيها المجيد كلما ازداد تقدمها في ميادين الحياة

الرشيدة، وكلما ازداد اعتبارها من دروس الماضي كلما ازداد عطائها الحضاري أيضا.

ولما لتاريخ الشعوب من الأهمية القصوى لا تجد أية أمة حازمة حكيمة متأهبة للسيطرة على الحاضر، طامحة في مستقبل مشرق، عازمة على صنع التاريخ من جديد لا تجد أمة تحمل هذه المواصفات وتكون لديها هذه الطموحات ثم تعادي ماضيها وتاريخها. فليس هناك أي أحد يستغني عن ذكريات ماضيه ويضرب عنه صفحا سوى تلك الأمة التي احتلت أدمغة ساستها وغسلت مخخهم - بتلك الدروس التي يتلقونها من سادتهم المراوغين الذين يستهدفون فرض سيادتهم على البقاع والمناطق الغير الواعية شعوبها وأمتها- فاستهلكت تحت براثن الاستعمار الفكري والسياسي هويتها الذاتية وانصهرت في بوتقة الاستعمار جميع مقوماتها الشعبية فنسيت كيانها القومي وصارت تستحي من ذكر ماضيها المجيد كما نجد اليوم ذلك العار والشنار[1] متوفرا على أبشع صوره لدى البعض الغير القليل من ساسة البلاد الإسلامية وخصيصا أولئك الذين جعلوا العلمنة شعارا مقدسا لهم!

فمثلا ترى من جانب أن دولة يابان اهتماما بتاريخها وإحياء لذكرى السالفين من عظمائها واستفادة من تقاليدها وعاداتها المنقولة ببريد التاريخ إليها لم تترك حكومة ولا شعبا حروف أبجديتها و لم تنتقل إلى ما هو أبسط منها بكثير رغما من أن عدد حروف أبجديتها ستة

---

١) الشنار: العار، وأقبح العيب، والأمر المشهور بالشنعة.

وأربعون حرفا والرموز الصينية فيها ثمانمائة وثمانون رمزا ورغما من صعوبات كثيرة في تعلمها وكتابتها وقراءتها. فتراها أنها استطاعت بما حافظت على كيانها الاجتماعي المستمر من عريق تاريخها أن تنجز في مدة قصيرة مالا يفعله الغير من المخترعات التكنولوجية والثورات الصناعية في زمن كثير فصارت اليوم تتسابق مع الدول العظمى في كثير من الميادين التقنية والاقتصادية وغيرها رغما من ذلك الدمار والهلاك الذي شاهدتها في الحرب العالمية. ومن الجانب الآخر ترى أن تركيا غيرت أبجديتها من العثمانية إلى اللاتينية تحببا وتقربا إلى الغرب فقطعت جميع صلاتها مع تاريخها ورفضت ما يقارب ثمانين بالمائة من عاداتها وتقاليدها الموروثة وغيرت كيانها الاجتماعي من هوية مسلمة إلى هوية غربية ولكن رغما من كل ذلك لا تزال تتسكع[1] في أوحال التخلف والفقر والجهل وانحدرت إلى مستوى دول العالم الثالث[2] رغما من طاقاتها الوفيرة وثرواتها الكثيرة بحيث تعد الدولة السابعة في العالم من الدول التي تستطيع أن تكتفي بمواردها وثرواتها. وذلك لأنها فقدت بذلك التطفل للغير وبرفض تاريخها جميع القوى المحركة لديها الدافعة لها إلى الأمام فصارت كموتور (محرك ماكينة) بلا محروقة.

إعلانا بهذه القيمة الذاتية للتاريخ نجد الفرقان العظيم أعطى مكانا فسيحا للتاريخ وسرد وقائعه التي تحمل في طياتها كثيرا من

---

١) من تسكع: أي مشى مشيا متعسفا لا يدري أين يأخذ من بلاد الله، وتحير.

٢) عاليا عزت بغوفتش، البيان الإسلامي، ص١٥.

الدروس والحكم والعبر فما القصص التي تغطي مساحة واسعة في الحجم القرآني إلا لما للتاريخ من اليد الطولى في توجيه المجتمعات وجهة طيبة و تربية الأجيال وتنشئتهم نشأة صالحة- لذا لم يستغن الإنسانية يوما ما - كما أسلفنا- عن التاريخ وذكرياته النافعة الحميدة.

ونرى أن الفرقان الحكيم تلميحا إلى تلك الحقيقة الناصعة لم يهمل الاهتمام بالتاريخ في التسميات السورية أيضا لأن أسماء السور في النتيجة فهرست للقرآن كما قدمنا والفهارس عناوين على المضامين... فأعطي التاريخ ميدانا واسعا في التسمية السورية بجعل أسماء أهم الأشخاص التاريخية- التي نستفيد كثيرا من الدروس والعبر من ذكراها- أسماء للكثير من سوره وهي: أسماء بعض الأنبياء الذين لهم مكانة سامية في تاريخ النضال التوحيدي- كما مر في قسم الاعتقاديات- : **يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح.**

كما جعل في هذا الصدد التاريخي لفظة **الأنبياء** الشاملة لكل نبي ورسول اسما لسورة جليلة من سورها رمزا على ما كان للأنبياء كلهم من دور هام في تسيير وتوجيه أحداث التاريخ وتحديد جل المصائر التاريخية. وإشارة إلى أن من أهم وظائف المؤرخ أن يشكل نظرته التاريخية في محور تاريخ الأنبياء كما نرى أنه يعضد فكرتنا هذه تلك الأسماء التاريخية التي تأتى في الفقرة التالية والله اعلم. وإضافة إلى ذلك التخصيص والتعميم في التاريخ الأنبيائي ذكر في التسمية بعضا آخر من أسماء الشخصيات والقوميات التاريخية التي لها صلة بأحد الأنبياء

فكانت لها مكانة هامة في تاريخ الأديان أوفي النضال التوحيدي عبر الكتب السماوية : **آل عمران، بني إسرائيل،* مريم، لقمان، سبأ.**

نجد في الجانب الآخر أن لم يترك في التسمية- استكمالا للمشهد بذكر أهم عناصره اللازمة لكي تكتمل الصورة التاريخية في الذاكرة العامة- ذكر بعض من تلك الأمكنة التاريخية التي جرت فيها أوعلى أرضها ذلك الكفاح التاريخي بين الحق والباطل : **الكهف، الحجر، الأحقاف.**

ولم يترك فيها أيضا ذكر حادثة تاريخية لها الأهمية القصوى في تاريخ بعض من الأنبياء : **المائدة.** فاكتمل في التسمية العناصر اللازمة لإتمام ديكور المشهد التاريخي : **الحادثة، أسماء الأبطال، الساحة.**

الفرع الثاني الأدب

إن الأدب من أهم مقومات الكيان الثقافي للأمم وله دوي عال مر التاريخ وله دور كبير في كثير من فروع التوجيهات الاجتماعية من الترغيب في الخير والهدى والتنفير عن الغي والهوى إلى الدور التربوي في تكوّن أخلاقيات الشعوب وغيرها وإلى كونه ذاكرة عامة لكثير من مستملحات الماضي وظرائفه ونفائسه. حتى ترى البعض من الناس يدعي أن المجتمع يأخذ صورته الجماعية وينتهج في حياته المناهج التي

---

* هذا تنزل على الاسم الآخر لسورة الإسراء الذي مر بنا وجه التسمية به في فرع الرسالة من محور الاعتقاديات.

أملتها عليها عقليات الناس التي تتكون من طريق ما تمليه عليهم القنوات الأدبية من شعر وقصص وحكايات ومسرحيات وغيرها وهذا ليس بالأمر المستنكر لأن تأثير القراءة في الإنسان من البداهة بمكان فإذا ألح غالب أفراد شعب ما على قراءة ما تنطوي على نفس الأفكار من المقروآت فلا غرو أن الكل يتأثر إيجابا أو سلبا بما توجههم إليه تلك المقروآت. وهذا هو الكائن للمحاصيل الأدبية من المفعول العميق في نفوس الناس.

انطلاقا من هذا يتبين ما يمتلكه المنتجات الأدبية سلفا وخلفا في نمو العطاء الحضاري وتشييد الصرح الحضاري. لأن للأدب بجميع فروعه المسموعة والمكتوبة والمرئية منها مفعولا قويا في تحديد سلوكيات الناس وتوجيه وتكوين ميولهم وسائر نزعاتهم واتجاهاتهم. وهي المجموعة التي يتكون منها تدريجا مع الزمن العقلية الواعية الحضارية لدي الناس تلك العقلية التي لا تقوم قائمة الحضارة بدونها.

وخصيصا إن دور الأدب في المجتمعات المعاصرة التوجيهي والإصلاحي والإفسادي أكبر وآثاره الملموسة أعظم فكان لا بد أن يتبوأ مكانا بين أسماء السور إشارة إلى مكانته الاجتماعية. فنرى أن أخذت سورتان اسميهما من أهم فرعين من فروع الأدب المعاصر وهما: الشعر في: **الشعراء** والقصة في: **القصص**.

مكانة الشعر في الأدب معروفة سلفا وخلفا ومشهورة قديما وحديثا فهو كسجل عام ينقل لنا كثيرا مما سلف في التاريخ من الحكم

والدروس وأحداث الحروب ووقائع الدهور وعلوم الأقوام وعادات الأمم وتقاليد الذين خلوا. كما أن القصة لها دورها الخاص وقيمتها العظيمة في توجيه عقليات الناس فلذا استعملها القرآن بجد وكثرة مع أن استعمال القصة ما كان معروفا في الأدب العربي بحجم ذلك الاستعمال الذي ألح القرآن عليه وقيمتها وخصيصا في الأدب العربي إنما استكشفت بعد القرآن بقرون.

وبما أنهما قسمان هامان من الأدب فلهما ما للأدب من الجوانب المتنوعة والأدوار المختلفة في التوجيه والتربية والإصلاح الاجتماعي وكذا في مقابلها، فأخذهما محلهما في التسمية من الحكمة بمكان. ثم إن الشعر والقصة لهما صفة جامعية حيث إن كثيرا من فروع الأدب ترجع إليهما فهما كالنائبين الجامعين لغيرهما من الفروع الأدبية الجارية بين أهل الأدب.

ومن فروع الأدب الهامة التاريخ وقد ذكرنا سابقا مناولة التسميات السورية للتاريخ بمحوريها الخاص والعام.

الفرع الثالث الأخلاق والفرع الرابع الدين

إن الأخلاق حجر الأساس في دوام المجتمعات وبقائها وكلما ازداد الضبط الأخلاقي وانتشر رعاية الوظائف الأخلاقية في مجتمع ما ازداد قوتها وطال عمرها واشتد مناعتها ضد جراثيم الفساد وأعطاه ذلك التماسك الأخلاقي دما جديدا طريا ونفخ فيه ذلك الانضباط

الخلقي روحا شديدا قويا وكان في حصن حصين من الظلم والتعدي على حقوق الآخرين وحرز منيع من الفتن والفساد التي هي الداء الفتاك لأي مجتمع كان وإذا فقدت الأخلاق الحسنة في مجتمع ما فأخذت الأخلاق السيئة محلها بدأ دبيب تلك الأخلاق القاتلة يدب ويهب في نواحي المجتمع ومعنى هذا أن جرس الخطر يدق ونذير الخطر يصيح ويقول ألا أنا النذير العريان! إن هلاككم دنا ودماركم قرب! فقد قال القائل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ❖ فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويدل على تلك الأهمية البالغة للأخلاق في المنظور الإسلامي أحاديث كثيرة حول الأخلاق: **ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن فإن الله يبغض الفاحش البذئ**[1] وقد قدمنا جملة من الأحاديث التي تنم عن وجهة الإسلام الأخلاقية كما أن هذا الحديث يعرب عن البعد الأخلاقي ومدى عمق وشمولية الاتجاه الأخلاقي في المنظور الإسلامي حيث يشمل كل خير و بر: **البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك و كرهت أن يطلع عليه الناس**[2] وهذا الحديث التالي يذكر بعضا من أخلاقيات المؤمن الواقعية التي ينبغي للمؤمن أن يتمسك بها عبر حياته وأعماله اليومية وبذلك يتكامل البنية الأخلاقية في المنظور الإسلامي بمقارنة الكليات الأخلاقية التي هي أقرب إلى النظرية مع

---

١) الترمذي، أبواب البر والصلة/٦٢.

٢) مسلم، البر/٥.

الجزئيات التي هي أدنى من الواقع : **تبسمك في وجه أخيك لـــك صدقـة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة وإماطتك الحجـــر والشـــوك والعظم عن الطريق صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة.**[1]

إن دور الأخلاق في بناء الحضارات وانهيارها غير خاف فكلما اشتد البنيان الأخلاقي لأمة ما كلما قوي البنيان الحضاري أيضا لها. كما أن قيام الحضارة الإسلامية وانفتاحها إلى ثلاث قارات من أعظم قارات العالم في أقل من ثلثي قرن فيما مضى كان بسيرة المسلمين الحسنة والتكامل الأخلاقي والحسن الخلقي فيهم. كانوا أسوة حسنة لغيرهم في الخير والبر والمرحمة والعدل والوفاء بالوعود والعهود. كذلك جميع تلك الصيحات التي تعلو على شتى الأصعدة الغربية والشرقية وشكاواها التي تنبأ عن وشك انهيار حضارتها لا تكون إلا من فشو الأخلاق الفاسدة وازدياد المنكرات الرذيلة فيها وإلا فالبنيان المادي لها لا تزال على أقوى صورة اقتصادا وتنظيما وسياسة وعدة وعددا. ونرى أن مناعتها ومقاومتها للانهيار إلى الآن - مع حصول أسباب موتها منذ أمد غير قليل برفع القسم الكثير من القيم الإنسانية والبعض الغالب من الكمالات الأخلاقية منها- مناعتها للانهيار بما تتمتع به من تلك المستندات القوية المادية من التنظيم والتنسيق الحسن والاقتصاد القوي

---

١) الترمذي، أبواب البر والصلة/٣٦.

والاستراتجية التامة والتخطيط الحكيم. وإلا فقد فقدت موجبات الحياة منذ أمد بعيد وما بقي مبرر ومسوغ لدوام قيامها وحياتها أبدا.

إن مما يسترعي نظرنا في هذا الصدد هو أن الجانب الأخلاقي والجانب الذي يمثل الدين أقل مكانا في التسمية من غيرها من الاجتماعيات وحكمة ذلك- والله اعلم- أن القرآن اكتفي في كلا الصددين بذلك التكثيف البالغ الذي يدوم عبر القسم الغالب- وحتى قل عبر الكل- من آي الفرقان المجيد حول كلا الموضوعين. اكتفاء بذلك نرى أن الأخلاق تمثلت في تسمية واحدة: الهمزة: ذلك المرء الذي جعل لنفسه أسوء صنيع وأشنع عادة من الغيبة والوقوع في أعراض الناس حيث يهمز غيره ويلمزه ويغتابه ويقع في عرضه ويطعن في كرامته ويلوث سمعته ويجعل شرفه موطئ الأقدام وممر الأقزام[1] ألا وهو الشين المبين والخسران المشين! وهو من أسوء الأخلاق وأرذلها حيث يسبب في انحلال أواصر الأخوة والمحبة بين بني البشر كما يسبب في رفع معاني الثقة والطمأنينة من بين أفراد المجتمع وهو الداء العضال الذي ينبغي أن يتجنب عنه المجتمع أكثر ما يكون. كما أن تلك العادة السيئة كانت تسبب في المجتمعات القروية والتي قبل المجتمع الصناعي كثيرا من المشاكل وتثير كثيرا من الفتن إلى حد المقاتلة والمحاربة العظيمة بين طوائف تلك المجتمعات. فالتنفير عنه من أهم الوظائف القرآنية إن عبر آياته وإن عبر التسمية السورية فيه. ومما يجدر التنبه له هو أن الفرقان الحكيم إنما أتى في

---

١) الأقزام: أراذل الناس.

التسمية السورية في باب الأخلاق بنموذج من الأخلاق السيئة انطلاقا من ملحوظ **درء المفاسد مقدم على جلب المصالح** في نظر الإسلام والعلم والعقل فكان الاهتمام بسيئ الأخلاق وذكر نموذجها المثالي في التسمية أولى وأقدم.

الدين ببيان حقه وباطله هو بيت القصيد في القرآن وبيان حقه من باطله هو المطلب الأسمى والهدف الأعلى والمقصد الأسنى من جميع آياته واستدلالاته وترغيباته وترهيباته وتذكيراته وتحشيداته ومواعظه ونصائحه وحكمه وأحكامه وأوامره ومناهيه ومن سائر جهوده ومساعيه. إن ذكر القرآن في قسم الاعتقاديات من التسمية السورية لغالب أركان الدين الحق: **الإخلاص و الرسالة والآخرة والقرآن والملائكة وبعض من الغيبيات الأخرى** يغنينا عن التصدي لذكر الدين في جوهره الفلسفي أو لذكره كمفهوم اجتماعي داخل فيه الدين الحق والباطل يتلاقى معه وفيه كل المجتمعات الإنسانية - بلا استثناء - دوما عبر تاريخه المديد. لأن هذا امتداد لنظريات الأمور والقرآن إنما يهتم دائما بواقعياتها متجنبا إلى أقصى الحد عن النظريات وعما تتسم به من العلاقة الفكرية الغير المناسبة لموقع الكتاب العزيز من جانب ومن الميوعة التي تجر إلى الحق والباطل والصواب والخطأ أحيانا من جانب آخر. فلذا اكتفى القرآن في هذا الصدد بالإشارة إلى واقعيات الدين وهي ترى في ممثلي كلا الدينين الحق والباطل وهم: **المؤمنون والكافرون**.

غير أن هناك فريقا يظهر بين الناس بمسوح الدين الحق وهو عنه براء وضرر ذلك الفريق على الجامعة الإسلامية أشد وخطره أكبر. وما عاناه الجماعة الإسلامية الفتية في عنفوان[1] شبابها من ذلك الخصم اللدود والعدو الحسود غير خاف. وكذا في هذه الأيام الأخيرة أيضا ألد عدو يشتد ضرره على الإسلام والمسلمين هو جماعة النفاق. ومن هنا ترى القرآن العظيم حينما يذكر في ثاني سوره (البقرة) الفرق الثلاث: الكافرين والمؤمنين والمنافقين فبينما يكتفي في وصف المؤمنين بثلاث آيات وفي ذكر الكافرين بآيتين اثنتين فقط يطنب عن المنافقين في ثلاث عشرة آية كما ترى في شتى مواضع السور الأخرى أيضا حملات عنيفة على المنافقين. فناسب إعطائهم محلا في التسمية السورية تنبيها على خطرهم البالغ و شرهم المزيد وخبثهم العظيم ويتمثل ذاك الفريق في: **المنافقون**.

الفرع الخامس التنظيم الاجتماعي

إن التنظيم الجدي الحسن في الزمان والمكان والأفعال وغيرها من أهم الأمور النافعة المفيدة في المشوار الحضاري. وبدون تنسيق جيد شامل وتنظيم حسن كامل قلما تعطي الفعاليات الإنسانية والنشاطات البشرية عطائها المنشود وتؤتي ثمارها المرجوة سواء في العمل الحضاري أو في غيره. وترى أن أكثر ما يستفيد منها الأمم المتقدمة اليوم هو التنظيم

---

١) العنفوان (بضم الأول) من كل شيء: أوله.

المحكم والترتيب المتقن في جميع المحاولات والمعالجات والإجراءات والنشاطات ونرى أن ذلك من أحد أسباب تفوقهم وبقاء حضارتهم كما أشرنا آنفاً.

ومن الجانب الآخر إن النظام من أهم السنن الموجودة في جميع أجزاء هذا الكون: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، فلا يرى في أي جزء من أجزاء الكون خلل أو فساد أو اضطراب بل لكل منها نظام خاص يسير على وفقه ويدوم في فلكه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]، ولما للنظام من أهمية بالغة جعل من براهين التوحيد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3]، كما جعل الفساد الذي هو اختلال في النظام من أهم سمات الكفر والضلال: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]، ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾[5].

فكما جعل الخالق سبحانه في الكون نظاما بديعا يتحير فيه أولو الألباب كذلك جعل في فطرة بني الإنسان وفي حياتهم الفردية والاجتماعية أيضا نظاما من جانب وتطلعا واشتياقا إلى النظام من جانب آخر فلا حياة بلا نظام ولا نظام يعلم بلا حياة. ومن هنا اهتم الله سبحانه

---

١) النمل، ٨٨/٢٧.

٢) يس، ٤٠/٣٦.

٣) الأنبياء، ٢٢/٢١.

٤) النمل، ١٤/٢٧.

٥) ص، ٢٨/٣٨.

بتنظيم الحياة الإنسانية على أساس الفرد والجماعة على لسان كتابه ولسان رسوله ولم يكن الإسلام إلا تنظيم العلاقات بين الله سبحانه وبين عباده من ناحية وبين العباد فيما بينهم من ناحية ثانية وبين الناس وما حولهم من الطبيعة من ناحية ثالثة. فالتنظيم كهو من أهم ما يهتم به الدين الحنيف لأن كل شيء لا يقوم على قاعدة الانتظام لا يقوم له قائمة ومآله إلى الاضمحلال[1] لا غير.

فإذاً تلك الحياة الإسلامية التي اصطفاها الله لعباده المؤمنين لا بد أن تقوم على قاعدة محكمة من النظام والتنظيم وأهم الصفحات التي نرى فيها التنظيم الإسلامي سائدا هو حياة العبودية ثم تليه الحياة الاجتماعية بشتى جوانبها علما منا أن كلا منهما مترابط مع الآخر في المنظور الإسلامي لا ينفصم أي جانب من الحياة العبودية عن الحياة الاجتماعية كما لا تنفصل هي الأخرى عنها. من هنا نرى أن القرآن ولى في جم غفير من آيه المجيدة جزأ كبيرا من عنايته نحو النظام والتنظيم وبطبيعة الحال انعكس نصيب من هذه العناية القرآنية إلى التسمية السورية أيضا فأعطت مكانا فسيحا للتنظيم والنظام بشتى مجالاتهما وأهم ما يسترعي نظرنا من تلك المجالات التنظيمية التي أتى القرآن فيها بأفق جديد وصورة جديدة هو التنظيم الاجتماعي الذي يضم بين جنباتها كثيرا من جوانب الحياة الاجتماعية. ففي التنظيم الاجتماعي نرى أن التسمية السورية عطفت من الميادين الاجتماعية نظرتها على

---

١) الاضمحلال: الذهاب والانحلال.

هذه الفروع : التنظيم الزمني وما يناسبه من التقسيم المكاني والتنظيم الاقتصادي والتنظيم السياسي والتنظيم العسكري والتنظيم التشريعي. ومع أن القرآن الحكيم أعطى بين أسماء سوره محلا هاما لهذه الميادين لم يترك بعضا آخر من تلك الجوانب التي لها أهمية بالغة في المجتمعات المنظمة : كمحاربة الأمية التي هي من أهم منقلات الإنسانية من طور البداوة إلى طور الحضارة حيث كان الكتابة هي الواسطة العظمى والأداة الوحيدة في نقل ميراث العلم وثرواته والرصيد الحضاري إلى الآخرين كما أنها هي الآلة الوحيدة في نشر العلم والمعرفة وبث الفضائل والفواضل وذيوع الكمالات والمحاسن واستقرار الثقافة وسائر صنوف المعارف في الأوساط الإنسانية والبيآت البشرية وبهذا يتجلى حكمة ذلك القسم الرباني بالقلم وحكمة الامتنان بتعليم العلم وبالتعليم بالقلم في أولى آيات الوحي المنزل. نعم تتمثل تلك المحاربة التي يعلنها القرآن ضد الأمية بصورة رمزية في التسمية السورية بجعل القلم الذي هو من أهم آلات الكتابة قديما وحديثا اسما لسورة : **القلم**.

والاهتمام بالصحافة- وهي صارت لسانا عاما يتكلم بها ألوف الألوف في شتى الميادين والمواضيع وصارت أيضا منبرا جامعا يبلغ بوساطتها إلى ملايين البشر آلاف الرسائل والمقالات والأفكار المتنوعة صحت أو سقمت- الاهتمام بالصحافة يتمثل في : النبأ ككونه من أهم عناصر الصحافة المعاصرة وفي فلكه يدور الأحداث والتنظيمات والتصريفات الصحافية .

والإشارة إلى التقسيم المكاني للأسرة الذي هو من أهم أسباب شقاء الأسرة وسعادتها خاصة في الاتجاه الإسلامي الحنيف الذي يرى تعدد الأزواج إن ذلك التنظيم المكاني المتمثل في أن يجعل البيت تشتمل على بعض الغرف حفاظا على مروات أفراد الأسرة يشير إليه اسم **الحجرات**. انطلاقا مما توحي إليه الكلمة ككونها دالا على التقسيم والتنظيم النبوي لحجرات أزواجه صلى الله عليه وسلم الطاهرات.

كما توحي اسم **الممتحنة** إلى معنى هام له أصالته ودوره الهام في الحياة العلمية والتربوية قديما وحديثا فان الكلمة وصف مأخوذ من الامتحان الذي هو الاختبار[1] - وهو في القرآن مستعمل بهذا المعنى- وخصيصا إذا لاحظنا ما للامتحان من دور عالمي هام في مجالات العلوم سلفا وخلفا- ونحن بدورنا هذا نعالج المسئلة معالجة عصرية موقنين جازمين أن كل وجوه الحكمة والمناسبة مما اطلعنا عليه وما لم نطلع سواء كانت موجودة قبل أو موجودة في يومنا هذا أو موجودة بعد في العصور التالية هي السبب في التراتيب والتراكيب والتعابير والانبنآآت والتسميات الواقعة في الكلام العزيز لأنه لا يخفي على منزله شيء في الأرض ولا في السماء وهو اللطيف الخبير- إذا لاحظنا ذلك الدور الهام للامتحان استبان لنا بوضوح ما توحي إليه الكلمة من مغزى كما تبين لنا من ذاك حسن موقعها في التسمية أيضا هذا إذا قرئ كلمة الممتحنة بكسر الحاء

---

١) الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٩٣، ص ١٥٩٢.

على صيغة اسم فاعل[1] وهي المشهور.

وإلى جانب هذا توحي الكلمة - إن قرئت بفتح الحاء على صيغة اسم مفعول[2] - باعتبار كونها وصفا للمؤنث إلى دور اجتماعي هام للمرأة وتبوأها مكانتها الإنسانية في المجتمع الإسلامي حيث ان كونها ممتحنة تدل على أنه يتحتم أن يكون لها مسؤولية ضخمة في كثير من المجالات من العقيدة والعبادة إلى العلم والمعرفة حتى تكون ممتحنة فان المسؤول ممتحن وغير المسؤول غير ممتحن والله اعلم.

والمقارنة الذكرية بين الرجل والأنثى في بعض الآيات أيضا تنبئ من جانب عن المكانة التي أعطاها الإسلام للمرأة ومن جانب آخر عن تلك المسؤولية الضخمة للمرأة في المنظور الإسلامي:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

إلى جانب أن جميع الممارسات العملية التي كانت المرأة المسلمة

---

١) القرطبي أبو عبد الله محمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦، ج ١٨، ص ٤٩، الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٥، ص ٢٠٩.

٢) المصدران السابقان.

٣) الأحزاب، ٣٣/ ٣٥.

تمارسها في الحياة الاجتماعية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بمرأى ومسمع وتقرير منه عليه الصلاة والسلام يدل أيضا دلالة واضحة على ما أعطى الإسلام للمرأة من دور حضاري واجتماعي بحيث لا يقل دورها الحضاري ذلك عن دور الرجل كما تنم تلك الممارسات التي كانت المرأة المسلمة تزاولها إبان ظهور الإسلام عن الحريات الفسيحة والحقوق الغزيرة التي تتمتع بها المرأة المسلمة وتعرب أيضا عن دورها في الحياة الاجتماعية في الإسلام ذلك الدور الذي أعطاها الإسلام عن علم وحكمة.

الفرع السادس التنظيم الزماني والمكاني

إن الزمن قيم وغال عند الإنسان الذي يحمل عقلية حضارية وعند المجتمع الذي رشح نفسه لريادة حضارية فإن جميع النشاطات الحضارية وجميع الجهود المبذولة التي ينتج منها البنيان الحضاري إنما تكون في قطاع من قطاعات الزمن ولا يتصور استغناء أية فاعلية حضارية عن الزمن. ومن ناحية أخرى إن العطاء الحضاري لأية أمة إنما يتناسب مع مقدار استثمارها لوقتها، كلما زاد الاستثمار للوقت واستغلاله كلما زاد العطاء الحضاري أيضا. والاستثمار الكامل المفيد إنما يمكن بالتنظيم التام السديد. الزمن سيال يسرع في جريه ولا ينتظر أحدا ولا يتوقف له فمن لم يحسن استثماره فات عليه وما فات مات. فلذا

يصر **مالك بن نبي** على أن أحد الأركان الثلاث للحضارة هو الوقت[1] وإذا كان للوقت هذا المجال الواسع في التطور الحضاري فلا جرم أن تنظيم الزمن من أهم العوامل المفيدة لاستثماره بصورة أفضل وأروع وهو الذي يجعل من الوقت ركنا حضاريا وهذا التنظيم الزمني نجد أفضل صوره في الإسلام، حيث يوفر الفرص التامة لأبنائه على استثمار الوقت ويحضهم على الحرص التام على استثماره والاستفادة الكاملة منه: ففرضية الصلوات الخمس تعبير مفيد عن تنظيم الزمن اليومي للمؤمنين و فرضية الجمعة إفادة لتنظيم الزمن الأسبوعي لهم. ونلاحظ أن فرضية الصلاة الأولى اليومية عند بزوغ الفجر وهو أول تباشير الصبح وجعل الصلاة الأخيرة اليومية عند غياب الشفق الذي هو آخر متبقيات أنوار النهار كما توفر الوقت للجامعة الإسلامية بصورة أفضل كذلك تتضمن حثا وحضا على استغلال المؤمن للوقت كاملا كما سنفيد ذلك وتدل أيضا على أن وقت السعي يبدأ عند المؤمن مبكرا وينتهي مؤخرا وهذا ما يزيد من عطاء الزمن الحضاري. إن الاستثمار الأفضل للوقت هو الذي ساهم بدرجة كبيرة في ما حققته دولة يابان من التطور البالغ في الميادين الصناعية كما سبق أن ذكرنا أن بعض الدول بينما يأخذ من جميع ساعات العمل الرسمي اليومي (التي تتراوح بين ستة وثمانية ساعات يوميا) عطاء ١٥ دقيقة والبعض عطاء ٤٠ دقيقة

---

١) مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الخامسة، دمشق ١٩٨٩، ص ٣٢.

والبعض عطاء ساعتين، والبعض عطاء أربع ساعات والبعض عطاء ست ساعات نجد ساعات الدوام الرسمي اليومية في اليابان تسعة ساعات وعطائها أيضا تسع ساعات يعني يستثمرون الوقت مائة بالمائة.

فالتسمية باسم: **العصر** يدل بإشارة تقرب من التصريح إلى أهمية الزمن في الملحظ القرآني حيث ان جميع القسمات الربانية يدل من جانب على مدى أهمية المقسم به ومن جانب آخر هي كحض وحث على التدبر في ماهيات تلك الأمور المقسم بها والبحث عن وجوه أسرار حكمة الخلق المندمجة فيها[1] فمن هنا كان هذا الاسم رمزا إلى أهمية الزمن المطلق في نظر القرآن. ومن الناحية الأخرى كل هؤلاء الأسماء الآتية لها أهمية قصوى في الإشارة إلى البرنامج الزمني اليومي للمؤمن، حيث ذكر أول الزمن اليومي وآخره ووسطه:

الفجر يدل على بدء الزمن اليومي عند المسلم، وهو إشارة كما أسلفنا تحض المؤمن على أن يبدأ بأعماله اليومية مبكرا وأن لا يتريث ولا يتبطأ. كما يفعله الكسالى النومة ويذهبون بركة البكور بنوم الصباح.

والليل حيث يدل على انتهاء الزمن اليومي،

والضحى حيث يدل على جزء هام من الزمن اليومي تلك الفترة التي يؤدى فيها معظم الأعمال.

---

١) انظر ابن قيم الجوزية محمد شمس الدين، **التبيان في أقسام القرآن**، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، ص ١٩ وما بعدها.

والجمعة، حيث تكون رمزا على تنظيم الزمن الأسبوعي فإن للجمعة جوانب متنوعة حيث انها أشرف الأوقات في الأسبوع التي يطلب من المؤمن اغتنامها بالأعمال الصالحة عند الله النافعة للإنسان كما أنها رمز لتجمع أسبوعي للمؤمنين سنبين ذلك في التنظيم الاجتماعي إن شاء الله تعالى.

أما القدر فله في هذا الصدد الزمني مغزى آخر حيث يدل بسياقه القرآني على قيمة الزمن وفضيلته كما أن فيه خصوصا إشارة بالغة إلى حض العباد على اغتنام بعض من أجزاء الزمن الذي هو موسم للبركات وبيدر للأعمال الصالحات وموعد تكثر فيه الخيور والبر، وقد أسلفنا نظير ذلك آنفا في الجمعة أيضا.

كل هؤلاء الأسماء إن دلت على شيء فإنما تدل على فضيلة الزمن المطلق في نظر الإسلام من ناحية وعلى التنظيم الزمني الذي إنما يمكن أن يتحصل بتقسيم الزمان إلى أجزاء محدودة بتحديد أولها وآخرها ووسطها من ناحية ثانية وتدل على أهمية تلك الأزمنة أيضا من ناحية ثالثة. كما أن في العصر إشارة إلى أمر هام آخر وهو الإعلام بقيمة الزمن كي لا نضيعه ولا نسرف فيه فان إسراف الزمن أضر على الفرد والجماعة من إسراف المال كما يشير إلى ذلك الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ.**[1]

---

١) البخاري، الرقاق/١.

ويتبع المكان الزمن في أخذ نصيب من الاهتمام القرآني حيث جعل للمكان أيضا محل في التسمية السورية ولكن نجد الفرق واضحا بين الذكرين حيث ان التسمية السورية القرآنية- على العكس مما نجد للزمن محلا واسعا في التسمية يتناسب مع أهميته- أعطت للمكان محلا في بعض السور منها: **البلد والطور** ولكلا التسميتين مغزى هام حيث إن الأولى تكون كنموذج على الأمكنة العمرانية الحضارية التي تبدو معنى خلافة الإنسان فيها أكثر وأظهر- كما أشرنا إلى ذلك قبلُ في فرع البيئة. والثانية **الطور** (الجبل) كنموذج على الأمكنة الطبيعية التي لا غناء للإنسان عنها في أي طور من أطوار الحياة من طور البداوة إلى طور الحضارة فتكون التسمية بهاتين الكلمتين جامعة لكل الأمكنة بما تجمع تحتها من الطرفين والله اعلم.

كما ومنها **الحجرات فهي** تشكل إلى جانب ما ذكرنا دلالة على تنظيم المكان الذي تبدو وجه الحضارة فيه أكثر **ومنها الكهف** فهي بالعكس من ذلك تحمل دلالة على المكان الذي يبدو معنى البداوة فيه أكثر.

الفرع السابع التنظيم السياسي

يتبين من أول نظرة ملقاة على آي الذكر المجيد مدى اهتمامه البالغ بتنظيم المجتمع كما أسلفنا فانطلاقا من هذه النقطة الهامة نجد أن التسمية السورية ذكرت أهم الأمور التنظيمية في حياة المجتمع وسياسته

وهو: **الشـــورى** بكل ما تحمل الكلمة من معنى غزير شامل جامع وخصيصا إذا ما لاحظنا ما لمقابل الشورى وهو الاستبداد من تأثير سلبي كلي في حياة الشعوب والأمم و آثار سيئة وأضرار فادحة على الإنسانية كلها عبر التاريخ البشري إذا ما لاحظنا ذلك أدركنا مدى القيمة الإنسانية والسياسية لهذه الكلمة وأدركنا ما تحمل في طياتها من المغازي التنظيمية والمعاني السياسية الرشيدة الحكيمة وتيسر لنا أيضا أن نفهم أهمية موقعها في أسماء السور أيضا.

التسمية لم تكتف في معرض التنظيم السياسي بهذا القدر بل أشارت إلى المظاهر التي تكون مظهرا ومركزا للأعمال السياسية وهو التجمع الإنساني وهذا التجمع يبدو عبر تسميات السور في مظاهر منها التجمع الطائفي العام الغير المقيد بطائفة معينة ضمن التسمية ب: **الزمر** فإن الكلمة تدل انطلاقا من الإطلاق القرآني على التجمع من ناحية وعلى الفرقية والطائفية- التي هي سنة اجتماعية في تاريخ المجتمعات ولا غنى عنها بأي حال- من أخرى.

ومنها التجمع الدوروي المرتبط بدورة معينة في السنة الشامل لجميع صنوف الناس وهو المدلول عليه ضمن التسمية ب **الحج** وهو من أهم التجمعات الإنسانية التي أمر بها الإسلام مهرجان عالمي يعرض فيه صنوف الأقوام والشعوب عبوديتهم على ربهم من غير أن يكون هنا جواز لتلك الملابسات الخصوصية والتميزية التي تدل على الفوارق من ثياب ومكان وأعمال وسائر المرفهات فكل الناس من أب واحد، عباد

لرب واحد، متزيون بزي واحد، واقفون بخشوع وخضوع في مقام واحد- من غير أن يكون هناك محل للخصوصيات والدرجات والرتب- مقام الذل والعبودية لله مبتهلين متضرعين إلى جنابه سبحانه. ثم إنه ليس هذا وحسب كل ما يتضمنه الحج من معنى وحكمة بل الأظهر الأشمل من ذلك هو أن الحج إلى جانب هذا مؤتمر إسلامي سنوي عالمي يجمع فيه شمل الأمة وتوحد كلمتها وتظهر شوكتها أمام جموع الأعداء وهو فرصة عالمية للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تتلاقى فيها أبناء الأمة آتين من كل فج عميق وصوب سحيق، يجدون في تلك الفرصة السانحة إمكانية مشاورة ومذاكرة جل أمور الأمة السياسية و الإدارية والاقتصادية و الدبلوماسية والفكرية وما إليها.

فالحج إلى جانب كونه عبادة عظيمة فرضها الله على عباده المؤمنين هو من أهم تجمعات المسلمين السياسية يجتمعون فيه وعلى رأسهم رئيسهم- كما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع خلفائه الأربع من بعده- تحت راية **لا إله إلا الله** وهتافهم في تلك المظاهرة الإلهية والتجمع الرباني شعارات **الله أكبر ولبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك** فيا ترى! هل تجد من تجمع سياسي يكون أنجع في إرواء غليل الأمة وشفاء عليلها وإيجاد الحلول السليمة النافعة لمشاكلها وأزماتها وتوحيد صفوفها واعتزازها بكيانها الجماعي هل ترى أنفع من هذا التجمع المقدس الذي طالما أعرض المسلمون عنه وعما يحمل من تلك المعاني السامية الحكيمة الناجعة واكتفوا منه بتلك الحركات التقليدية الميتة

الجوفاء الفارغة من روح وديناميكية فصار الحج لا يسمن ولا يغني من جوع، فاستحقوا الذل والهوان، فأتاهم الموت من كل مكان وما هم بميتين!

وكما أشير في معرض التنظيم الجماعي السياسي بتسمية الحج إلى ذلك التجمع السنوي بين المؤمنين الذي تتلاقى فيه روح العبادة والسياسة تحت راية الاعتزاز بشعائر دين الله الأقدس كذلك أشير أيضا بتسمية الجمعة إلى التجمع الأسبوعي الذي لابد منه في جماعة منظمة هادئة هادفة إلى نشر دعوة ورسالة عالميتين بين ربوع العالم، هادفة إلى تحصيل ديناميكية الإيمان في القلوب، هادفة إلى تحصيل طاقاتها بشتى أنواعها وتوجيهها إلى صالح العباد والبلاد، هادفة إلى الكفاح لكل المنكرات والرذائل الخلقية، هادفة إلى إظهار وحدتها الجماعية والأخوية التي تشع منها أنوار الإخاء والمساواة بين أفراد أسرتها العظمى، هادفة من ثمة إبراز قوتها المنبثقة من التساند بين أفراد أسرتها واستئصال كل الفواحش والخبائث الفردية والاجتماعية من المسكرات والمخدرات إلى الغيبة والحسد والبغضاء من المجتمع ومن ترسيخ روح الفضائل والكمالات في أعماق مجتمعها إلى غير ذلك من أهداف الجمعة السياسية والعبودية والاجتماعية. تتضمن الجمعة وتجمعها الأسبوعي كل هؤلاء المعاني السامية الحكيمة. وأدل الدلائل على ذلك جعل الخطبة من أركان الجمعة وجعل الأمر بالتقوى من أحد أركانها كما هو رأي الشوافع.

كما نجد في معرض التنظيم السياسي أن ذكر في تسمية سور

الفرقان المجيد أهم عناصر السياسة وهو الإنسان فمرة ذكره مفردا في التسمية ب: **الإنسان** ككائن سياسي له أدواره العظيمة الهامة في السياسة، ولما للإنسان من هذا الدور الهام في السياسة التي تجئ في رأس تلك الأمور التي تعد المناخ الطيب والتربة النافعة للبناء والعطاء الحضاري المتكامل المتواصل، لهذا الدور الفعال للإنسان يعده البعض من أولى العناصر اللازمة للحضارة ويكون الإنسان بتحمل ذلك الدور وحدة اجتماعية.[1]

ومرة ذكر الإنسان في التسمية جمعا ب: **الناس** بما أن أكثر مظاهر السياسة أو قل كلها هو التجمع الإنساني،

ومرة ذكرت التسمية أصغر وحدة و تجمع سياسي ربما الدور السياسي الأعظم في التاريخ كان لها وهو القبيلة متمثلة في اسم **قريش**،

وأخرى ذكرت أعظم وحدة سياسية إبان ذاك حافظت على مكانتها تلك إلى يومنا هذا وهي الوحدة التي ترى في صورة القوم فان الوحدة القومية من أكبر الوحدات السياسية التي تطبق فيها أصول السياسة ويجرى فيها أعمالها ونرى أن تلك الوحدة قد تمثلت في اسم **الروم**.

كما لم تهمل التسمية في هذا المقام الهام ذكر النسوة التي تقرب كميتها من نصف النسمات التي تعيش على وجه البسيطة ذكرت النسوة في التسمية ب: **النساء**. فان السياسة الأرضية- الحديثة والقديمة- كثيرا ما

---

١) مالك بن نبي ، السابق، ص ٣٢.

أساءت ولا تزال تسيء إلى المرأة في سياستها وإدارتها لشؤون المجتمع وأقصتها عن محلها المتناسب مع فطرتها البشرية والمتوائم مع كرامتها الإنسانية وجعلتها طورا في محل الذل والهوان والازدراء[1] كما فيما سلف وطورا في محل المجون والدعارة والاستهتار[2] والعبث بكرامتها النسائية إشباعا لأهواء جامحي الشهوات كما في يومنا هذا. فجائت السياسة السماوية بين دفتي القرآن كي تعيد لها محلها وكرامتها وعزها ومكانتها[3] فما أجدر وما أنسب أن أعطى القرآن في تسميات سوره محلا لذكر المرأة. كما أن في ذكرها في صورة اسم الجمع إشارة- ولو خفية- إلى أن للمرأة قوة بما تتزود به من كثرة العدد. فلا يليق أن يضرب عنها الذكر صفحا.

وما أنسب وأوقع أيضا أن جعل القرآن مجادلة المرأة لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام حول شيء من حقوقها العائلية اسما لسورة من سوره: **المجادلة** تخليدا لذكرى مجادلتها كي يطن في أذن الدهر على الدوام ما أعطى الإسلام للمرأة من تلك الحريات الفسيحة والحقوق الغريزة حيث جعلها قادرة على أن تجادل نفاحا عن حقها حتى مع نبيها ورسولها، مع قائدها، مع أكبر مرجع سياسي وديني في دولتها إلى أن تحصل ما أرادها لنفسها. نعم! كانت تلك المرأة المسلمة الصحابية الجليلة

---

١) راجع الطباطبائي، **الميزان**، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٨.

٢) المجون: قلة الحياء؛ الدعارة: الفساد والفسق والخبث؛ والاستهتار: كثرة الباطل والافتتان بالشيء.

٣) انظر السابق، ج٢، ص ٢٦٨-٢٧٦.

تجادل لأخذ حقوقها مع نبيها الكريم صلوات الله وسلامه عليه[1] حينما كانت أخواتها فيما حولها تمر بأقسى أدوارها الحالكة حيث كانت بعض الأمم حينئذاك تتناقش فيما بينها قضية هل المرأة إنسان أم لا؟ وكانت بعض الأمم الأخرى لا تعامل معها إلا معاملة أداة طيعة لإشباع شهوات الرجل فقط و... و... و...[2] ونرى أنه بما أعطاها الإسلام من الحريات الفسيحة والحقوق الواسعة وبما حمّلها من الأدوار الهامة في تسيير أمور المجتمع وبما هيأ لها من أخذ مكانتها المغصوبة منها عبر التاريخ في المجتمع تيسر للمرأة المسلمة أن تساهم مساهمة فعالة جيدة وأن تلعب دورا هاما في البناء الحضاري للإسلام فما أعظم سياسة الإسلام في إدارة المجتمع! وما أعظم سياسة القرآن في تسمية سوره! ولله الحمد والمنة!

---

١) يروي ابن ماجه عن طريق عروة بن الزبير قال قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء. إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني أللهم إني أشكو إليك. فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات: **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله**...محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، **السنن**، أبواب الطلاق/٢٥.

٢) راجع في ذلك الكتاب القيم لأبي الحسن علي الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، تحقيق مصطفى الندوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٨، ص ٤٢-٤٣.

ثم إنه لا يخفي على جلنا أيضا ما توحي إليه كلمة المجادلـــة- من جانب آخر- من مغزى سياسي يشتغل به الأوساط السياسية وكثيرا ما يهمهم نحو ما تدل عليه كلمة المعارضة في يومنا هذا. فإن المعروف اليوم بين السياسيين أن كمال العمل السياسي يتم إلى درجة كبيرة بمجادلة المخالفين ومعارضتهم. فالمعارضـــة بأطرها السياسية الحية اليـوم مما لا يستغني عنه أصلا تلك النظم السياسية التي تدور في فلك الشورى.

ثم إن المجادلة تحمل معنى سياسيا أيضا من جانب آخر حيث أجرتها خولة رضى الله عنها دفاعا عن حقها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائد المنظم والرئيس الفذ للمسلمين وهو المرجع السياسي الوحيد لهم.

كما أن ذكر الممتحنة- ككونها اسم فاعل للمؤنث- بين أسماء السور من أدل الدلائل على الدور الذي وهبه الإسلام للمرأة في المجتمع كما أسلفنا.

الفرع الثامن التنظيم الاقتصادي

إن الأمور التي تحتل محلا هاما في حياة الفرد والمجتمع تنقسم إلى قسمين قسم يكون من الأمور الغير المتحتم الوجود لإدامة الحياة تراها حينا توجد وتتصل بالحياة وتراها حينا آخرتنعدم و تنفصم عنها فهي من الأمور التي تدوم الحياة بغير اشتراط وجودها كالسكنى في المباني الفخمة المشيدة والركوب على المطايا الفارهة فإنهما وإن أخذا مكانا هاما في الحياة ولكن تدوم الحياة بغيرهما أيضا لأنهما ليسا من ضروريات الحياة

التي لا تمكن الحياة بدونهما كالمأكل والمشرب. وقسم آخر من تلك الأمور التي تبوأت في حياة الفرد والمجتمع مكانة هامة هي من الثوابت التي لا تنفصل عن الحياة ولا الحياة عنها فهي ثابتة في الحياة لا تتبدل ولا تتغير.

لا جرم أن من هذه الأمور الثوابت في الحياة التي لا تنفصل الحياة عنها ألبتة هو الاقتصاد بجميع ما تحمل الكلمة في طياتها من مغازي اقتصادية فلا تجد في العالم الإنساني حياة مستغنية عن الاقتصاد كثيرة كانت الحاجة أو قليلة، ضئيلة كانت أو عظيمة، والأمور الاقتصادية التي يحتاج إليها متطورة كانت أم بدائية، والإنسان المحتاج إليها متحضرا كان أم متخلفا. فالحاجة إلى الاقتصاد مما لا غناء للإنسان عنها أبدا وهو ركن في حياة جميع بني البشر غير منفصل عنها من حياة الزهاد والصلحاء إلى حياة المترفين البطرين. لكل منهم حاجته الاقتصادية بحسبه.

كذلك تتبوأ الاقتصاديات في حياة المجتمع أيضا نفس المكانة الهامة التي كان لها في حياة الفرد فهي من ضروريات حياة المجتمع ودوام مسيرته فيما يعتني به من ترقية وتطور وإصلاح وجهاد وغيرها. فالوثبة الحضارية لأية أمة ما لا يمكن أن تكون بلا اقتصاد مستقل، مستقر. الاقتصاديات هي التي بها تستثمر الطاقات الإنسانية كلها وبها تترقي المجتمعات وعليها تبنى وتتكامل الحضارات، لأن البناء الحضاري يقتضي جهودا ونفقات مالية جمة وبتلك النفقات تؤسس الحضارات

مؤسساتها وتبني آثارها وتكون مناهجها وتستحصل على معالمها. لهذا ترى البعض من العلماء من أمثال **ويلل درانت** يعد الاقتصاديات أحدا من أركان الحضارات الأربع كما أسلفنا عنه.

فدلالة على ما للاقتصاديات من المكانة الهامة والدور العظيم في إصلاح المجتمع وإقامة مجده وعزه ترى أن الله سبحانه يأمر المؤمنين بالجهاد بالمال والنفس في آيات ست وفي جميعها قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس. كما أن التقوّى الاقتصادي (بأخذ ما في عير قريش من الأموال) كان الباعث على أول عملية عسكرية (حرب بدر) زاولها الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن هنا أيضا نرى العلماء والفلاسفة وجميع المهتمين بأمر المجتمع كثيرا ما اهتموا بأمر الاقتصاد خلفا وسلفا وعلى الخصوص في القرون الأخيرة التي ازدادت - ولا تزال تزداد- الحاجات الإنسانية فيها يوما فيوما بازدياد الصنائع والمنتجات الحديثة وأخذ الإنتاج والاستهلاك محلا مركزيا في حياة الفرد والمجتمع. فكلما زاد ثقافة الإنسان المتحضر الاستهلاكية كلما زادت حاجاته الاقتصادية على نسبتها. ومن ناحية أخرى من أهم العوامل التي تكثر الحاجة إلى الاقتصاديات علما وفلسفة وتنظيما وإدارة هو ازدياد الطلب في يومنا هذا إلى مجالات العمل بازدياد كثافة النسمات الإنسانية إلى درجة لم تحلم بها الإنسانية يوما ما.[1]

---

1) İbrahim Erol Kozakç İbnu Haldun a Göre İnsan Toplum İktisat Pnar yay. İstn. Trz. s. 31-33

فمن هذه الأهمية المركزية للاقتصاد في الحياة الإنسانية كان لزاما أن يتعرض البيان القرآني إلى التنظيم الاقتصادي بعديد آياته في عديد السياقات وأن يذكر كثيرا من الأعمال والمنافع والتصرفات والأحكام والتشريعات الاقتصادية في مختلف الأساليب:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾[2]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ❖ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[5]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ❖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾[6]، إلى غير ذلك من الآيات العديدة الدالة على كم كبير من

---

١) الجاثية، ١٣/٤٥، وانظر: إبراهيم، ٣٢/١٤، النحل، ١٤/١٦، الحج، ٦٥/٢٢.

٢) النحل، ١١٤/١٦.

٣) الأنعام، ١٤١/٦-١٤٢.

٤) البقرة، ١٨٨/٢.

٥) البقرة، ٢٦٧/٢.

٦) البقرة، ٢٧٨/٢-٢٧٩.

القواعد الرئيسية المجملة والأصول الأساسية العامة في الحياة الاقتصادية التي تفصح عن النظرة الاقتصادية القرآنية.

إلى جانب ما كثف القرآن في ثنايا آياته كما كبيرا من جهوده على الشؤون الاقتصادية الأخرى بحيث يمكن أن يستنبط من هذا وذاك بسهولة قواعد أساسية مجملة لتنظيم اقتصادي متكامل يتماشى مع العصور والقرون. فكي يتناسب العنوان مع المُعنوَن ولى القرآن اهتماما كبيرا للاقتصاديات في تسميات سوره أيضا.

انطلاقا من أهمية الاقتصاد في المنظور القرآني ترى أن أول ما يقع عليه نظرك في أسماء السور من تلك الأمور التي لها ملابسة خاصة بالاقتصاد هو ما ينبأ عن الملكية - بمفهومها العام- التي جل الشؤون الاقتصادية تدور حولها: **الملك**. ونرى اليوم أن أهم ما يميز إحدى المنظومات الاقتصادية عن الأخرى هي نظرتها إلى الملكية كما يرى ذلك واضحا جليا بين المنظومات الاقتصادية الثلاث: الإسلامية، اللبرالية، الاشتراكية.[1]

ثاني ما يسترعي نظرنا في أسماء السور من الأمور الاقتصادية الزكاة المدلول عليها ب: **الماعون**[2] وهي التي تشكل الجزء الأساس

---

١) راجع لتفصيل الملكية في الإسلام: فكري أحمد نعمان، **النظرية الاقتصادية في الإسلام**، ص ١٤٩-١٥٠.

٢) إن المفسرين رحمهم الله تعالى ذكروا لكلمة **الماعون** وجوها لا يخرج أي واحد منها عن الإطار الاقتصادي كما رجح الكثير أنها بمعنى الزكاة: راجع ابن كثير، ج ٤، ص ٥٥٥، شيخزاده محمد بن مصلح الدين القونوي **الحاشية على تفسير القاضي**، مكتبة الحقيقة إستانبول ١٩٩١، ج ٤، ص ٦٠٥.

والقطب العظيم في تنظيم هيكل الاقتصاد الإسلامي.

ويصحبها ذكر تلك المواد الاقتصادية التي لا يكون اقتصاد بدونها وهي: **البقرة والأنعام والنحل والفيل والعاديات والحديد والتين والزخرف و المائدة.**

إن غالب ما كان يدور عليه ويتكون به الكيان الاقتصادي من الأفعال والأحداث والأموال والثروات - طيلة التاريخ إلى مشارف القرن العشرين - هو ما أشار إليه هذه الأصناف باعتبار ما تجرى من وظيفة وهي: الاستهلاك المدلول عليها ب: **المائدة والزخرف والتين والحديد والمسد**، والإنتاج المدلول عليه ب: **الحديد والمسد والبقرة والأنعام والنحل، والفيل والعاديات**، والأعمال الاقتصادية الأخرى كالتجارة والتقلب في الأرض ابتغاء الرزق يدل عليها: **الأنعام**. (ولعلك لم تنس ما ذكرنا أن كثيرا من أسماء السور القرآنية تحمل أكثر من مغزى باعتبار ما نحن بصدده)

الأمر لا يقف عند هذا الحد في معرض الإشارة إلى الأمور الاقتصادية في تسميات السور فنرى التسمية السورية تقطع شوطا آخر أبعد حول الإشارة إلى الشؤون الاقتصادية وهو ذكر أهم ما يهدف في الأعمال الاقتصادية من تكثير الأموال الذي هو المحور الأصيل لغالب المحاولات الاقتصادية أشار إليه ضمن: **التكاثر** وهو أول وآخر ما يقصد في الاقتصاد تنزيلا بالكلمة - في وجهتنا هذه- إلى معنى تكاثر الأموال- وان كان له محمل قرآني آخر- كما قال **الإصفهاني**: إن التكاثر التباري في

كثرة المال والعز[1] ويرافق لفظة التكاثر في الدلالة على الكثرة الاقتصادية انطلاقا من المعنى اللغوي للكلمة لفظة: **الكوثر** ونحيل الأمر كرة أخرى على **الإصفهاني** الذي هو فارس هذا المضمار الذي لا يجارى حيث يقول: ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية[2] **فالكوثر** إذا لاحظنا معناها ضمن الإطلاق القرآني (أي المعنى الملحوظ من السياق القرآني) فإنه يتضمن الخير الكثير للأمة[3]، ويشمل ذلك الخير الكثير للأمة تحسن اقتصادياتها أيضا وإن شمل غيرها، وإن لاحظنا معناها اللغوي فحسب بلا إضافة شيء من السياق القرآني عليه كان دالا على ما قصدناها هنا بلا تكلف ولا عناء. علما منا أنه ما لم يرد نص قاطع على أن المراد بالكلمات في أسماء السور هو المعاني القرآنية فحسب جاز لنا حسبما يمنا إليه وجهتنا أن نذهب بها المذهب اللغوي أيضا كما ذكرنا ذلك انطلاقا مما نجده سائدا على الكثير من التراكيب القرآنية من جواز الحمل على الوجوه الكثيرة - الغير المعارضة للنصوص والسياق- بلا مراء ولا نزاع. وقد أشار إلى ذلك علي رضي الله عنه حينما بعث ابن عباس رضي الله عنه إلى الخوارج يحاجهم: "**لا تجادلهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه**" وهو السبب في كثرة الوجوه التفسيرية وتكثير المحامل القرآنية

---

١) الراغب، **المفردات**، ص ٧٠٣.

٢) نفس المصدر السابق.

٣) راجع ابن كثير، ج ٤، ص ٥٥٨.

مما أدى إلى تأليف الكتب الطوال في تفسير كلام الله مما يناهز الألوف. وقد بينا أسباب ذلك بتفصيل في كتابنا **ثراء المعنى في القرآن الكريم**.[1]

من بين تلك الأمور الاقتصادية الهامة التي تتبوأ محلا هاما في الاقتصاد ولا ينبغي إهمالها هو الغبن الذي يحذر منه حذرا شديدا ويحترز عنه كثيرا كل من يزاول عملا اقتصاديا كتجارة أو ما ضاهاها وهو مذكور ضمن كلمة: **التغابن** ونحن في وجهتنا هذه أيضا مع المعنى اللغوي للكلمة جازمين أن اللفظة لم تنحسم علاقتها بالمعنى اللغوي حينما تبوأت مكانتها في التركيب القرآني أيضا فإن مدلول الكلمة اللغوي- وهو أن يغبن بعض الناس بعضا[2] في صفقاتهم- مستمر في التركيب القرآني أيضا.[3]

و نرى التسمية السورية الحكيمة لم تهمل - تحذيرا للمسلمين وتنبيها لهم- أهم ما يسبب رفع الثقة والأمن في الأعمال الاقتصادية بين الناس في تصرفاتهم الاقتصادية ويكوّن الفوضوية الاقتصادية في المسير الاقتصادي ويسبب رفع أخلاقيات الاقتصاد التي أصر عليها الإسلام في عديد النصوص لم تهمل ذلك تمشيا مع تلك القاعدة المصفاة من روح الشريعة الإسلامية: **إن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح**[4] مع أن فقدان

---

١) راجع محمد خليل جيجك، **ثراء المعنى في القرآن الكريم**، دار السلام القاهرة ١٩٩٨.

٢) الفيروزآبادي، **القاموس**، ص ١٥٧٣.

٣) راجع ابن كثير، ج ٤، ص ٣٧٥، وجمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٨، ج ١٦، ص ١٨٢-١٨٣، والشوكاني، ج ٥، ص ٢٣٧.

٤) انظر لتفصيل هذه القاعدة: عبد الكريم زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، ص ٨٤-٨٥.

التواثق المتبادل والأمن الكامل وعدم رعاية بعض الضوابط التنظيمية المتمثلة في الأوامر والنواهي في الأعمال الاقتصادية خطر عظيم على الاقتصاد ومسيره ونموه الاجتماعي مما تنعكس آثاره السلبية على كثير من ساحات الاقتصاد والأسواق الاقتصادية حيث يسبب فقدان الأمن في الأعمال الاقتصادية من جانب تلكم الأمور التي تسبب الفوضوية والاضطراب في الحياة الاقتصادية ومن جانب آخر التجشم لكثير من الأعمال التدبيرية الوقائية التي لولا أن كان الثقة والأمن مفقودين في المجتمع لما احتيج إليها فرمزا على هذه المعاني جعلت كلمة: **المطففين** اسما لإحدى السور المدنية التي كانت تتنزل إبان الهياج التشريعي.

ومن طرف آخر إن من يلقي نظرة عابرة على الفهرست السوري حينما يصادف اسم **المطففين** لا يتمالك نفسه أن يجد مرتسما على شاشة ذاكرته ذاك الوعيد الرباني الرهيب: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1] نعم ما أعظم هذا الوعيد: ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾. فإنه وعيد عظيم يفيق منه المؤمن الذي لم يتركز ولم يترسخ المادية في نفسيته وعقليته بصورة التأله- كما في عصرنا- يفيق منه المؤمن لتوه إلى رشده و ينقلع عن أباطيله وضلالاته الاقتصادية. فيتحصل بذاك على ما يثبت في نفسيته روح الأمن والثقة

---

١) المطففين، ٨٣/١-٦.

تجاه الآخرين ويبتعد بذلك الزجر الإلهي العظيم عن مواقع الغدر والخيانة بالآخرين في جميع معاملاته الاقتصادية و يفعل ذلك الزجر الإلهي في ابتعاد المؤمنين عن كل مظان الغدر والخيانة والغش والاحتكار والتدليس والاجتناب عن أكل أموال الناس بالباطل وجميع أنواع الحرام والتورع عن التعدي على حقوق الآخرين تفعل الآية في كل ذلك ما لا يستطيع أن يفعله آلاف الشرطة ورجال الأمن فهل نسينا ما فعلته تلك الآية التي تحرم الخمر؟ فإن تلك الآية الوحيدة مع ما يدعمها من بعض جمل معدودة صرفت من طرف الرسول(أي أحاديث تحريم الخمر) أبقت مفعولا في نفوس المؤمنين بها بحيث ترك الخمر لا المعاصرون لنزول الآية فقط ولا الصحابة فقط بل تركها أبدا كل من آمن بها من مليارات الناس ممن شاهدوا نزول الآية وممن جاؤوا بعد نزولها بقرون كثيرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من الفقراء والأثرياء والرجال والنساء والشبان والشيوخ. فهذا ما لا يستطيع أن يفعله أبدا ملايين قوات الأمن فمثلا الحكومة الأمريكية منعت الخمر(حوالي عام ١٩١٩م) وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والجرائد والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شرب الخمر وبيان مضارها ومفاسدها. ويقدرون ما أنفقته أمريكا في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار و ما نشرته من الكتب والنشرات بما يشتمل على ١٠ بلايين صفحة وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما بما لا يقل عن ٢٥٠

مليون جنيه (٥ ، ٧٢ مليون دولار). وقد أعدم فيها ٣٠٠ إنسان وسجن ٥٣٢٣٣٥ إنساناً. وبلغت الغرامات المالية إلى ١٦ مليون جنيه (٦ ، ٤ مليون دولار) وصادرت من الأموال ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيه (١ ، ١١٧ مليون دولار) ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراما بالخمر وعنادا في تعاطيها حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب القانون وإباحة الخمر في بلادها إباحة مطلقة.[1]

فمفعول تلك الآيات التي تحرم مال الغير من مثل قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] و قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[3] مفعول هذه الآيات لا تقل أبدا عن مفعول آية الخمر بل أكثر منها بكثير وكثير فإن أردت شهداء لا شاهدا واحد فقط على ما تؤمّنه هذه الآيات في أمن الأموال من المفعول الطيب فنذكر لك بعض الأمثلة التي يتيسر لك بها المقارنة والموازنة بين ما تمتلكه كلتا الحضارتين من وسائل الأمن الاقتصادي (إلى جانب الأمن في المجالات الأخرى) وما تبقيه تلك الوسائل من مفعول باق دائم عبر العصور :

---

١) أبي الحسن الندوي ما ذا خسر العالم ، ص ٥٩.

٢) البقرة، ١٨٨/٢.

٣) النساء، ٢٩/٤.

١ - اذهب إلى أهم مراكز الحضارة الغربية من أمريكا وبريطانيا وغيرهما وضع في جانب من جوانب ذاكرتك صورة مما رأيته هناك من تشديدات الأمن والتدابير الكثيرة لحفظ الأموال ثم ارجع إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أو أي مدينة أخرى مما تحتكم إلى الشريعة الإسلامية من مكة أو الرياض أو حتى بعض المدن الأخرى حتى ولو كانت مما ضعف فيها الوازع الإسلامي ثم قارن بين كلتا الصورتين لترى صدق ما قلنا فقد رأينا بأم أعيننا مرات كثيرة أنه يترك الدكاكين التي تحتوي على ملايين الريالات أو آلاف الدولارات مفتوحة بلا راع ولا حارس ويذهب صاحبها إلى المسجد لصلاته أو إلى قضاء حاجته كما ذكرنا سابقا.

٢ - إن أحدا من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة التي أدرّس فيها ممن يوثق بقوله وسمته نقل لي أنه حينما كان في بريطانيا طالبا للبحث في رسالة الدكتوراه سرق أمتعته وسط النهار مرتين من منزله في بريطانيا فاضطر إلى أن غير مسكنه وقال أيضا اختطف وسط النهار وفي إحدى الأسواق الكبرى - من أسواق بريطانيا - من يد زوجتي فلوسها التي كانت تشتري بها بعض حوائجها.

٣. وقد نقلنا فيما سلف ما وقع عام ١٩٧٧ في نيويورك في أمريكا حيث فقد بعض التدابير الأمنية بما أن الشرطة انقطعوا من مهمتهم بسبب الظلام حينما انقطع الكهرباء لمدة طويلة من النهب والسلب والخطف والتدمير والسرقة وغيرها. فهل من مزيد؟؟

٤ـ ومن أدل الدلائل على ما يتمتع به المسلمون من الأمن والثقة المتبادلة فيما بينهم تلك الثقة النابعة من الروحية العميقة التي أنبتتها في قلوب المسلمين تلك الآيات السالفة والأحاديث النبوية الشريفة حول تحريم تناول مال الغير بلا حق هو أنك لا تزال ترى في كثير من البلاد الإسلامية أنهم يتداينون فيما بينهم ويقرض بعضهم بعضا ويشترون الأشياء مؤجلا وفي كل ذلك بلا أخذ أي شيك أو سند رسمي يلجئهم غدا إلى الدفع أو يلزمهم القاضي بموجبها بالأداء مع أن جميع المبادلات المالية في الغرب وفي تلك الأوساط العلمانية إنما تتيسر بالشيكات أو السندات التي يوقعها المدين كي لا يفلت غدا من قبضة القاضي فيلزمه على الأداء. أما في الأوساط المتدينة التي تحافظ على سلوكها الإسلامي - ولو غير كامل- فترى أن بعضا غير قليل منهم لا يزالون يتعاملون فيما بينهم اعتمادا على ما يتمتع الطرفان به من خشية الله وعدم التعدي على حقوق الآخرين من غير أي توثيق رسمي أو توقيع شيك أو سند ولم تنتشر المعاملة بالشيكات والسندات وأوراق البنوك بين المسلمين إلا حينما اشتد فيهم روح التغرب والعلمنة وضعف فيهم الوازع الإسلامي وروح التقوى فلو أتيت بالأمثلة لما كفاني عشرات الصحف لسرد ما رأيته من الأمثلة الواقعية في هذا الأمن والثقة المتبادلة العميقة في الأموال والمعاملات اليومية الجارية بين أفراد المسلمين رغما من احتلال العلمنة لغالب بلاد الإسلام في قعر دارها وتلويثها للعقائد والأفكار!

فيتبين من كل ما ذكرنا وما لم نذكر أن مفعول الآية في المجتمعات المؤمنة في ناحية التوجيه الإيجابي الرشيد مفعول يدوم تأثيره على المدى البعيد مفعول غير موقوت بزمن محدد فقط أو مجتمع معين فقط بل يعيش هذا المفعول الطيب طيلة ما عاش الإيمان الصحيح وخشية الله في القلوب فهو مفعول شامل يرى آثاره الطيبة في جميع المجتمعات المؤمنة بها وبين جميع أفراد من آمن بها.

وأخيرا لا آخرا هذا المفعول الطيب في مجال التجنب من التعدي على حقوق الغير من إحدى سمات حضارة هذه الأمة التي يحق أن يفكر فيها الاجتماعييون والذين وقفوا أنفسهم على إصلاح المجتمعات من الإصلاحيين.

خلاصة

يتبين بوضوح أن ما توحي إليه تسميات السور من النظرة الاقتصادية نظرة مستوعبة لأهم جوانب الاقتصاديات حيث ان أول ما يدور في فلكه كل الاقتصاديات هو الملك فلا يتصور الاقتصاد بلا أن يكون هنا ملكية شخصية كانت- كما يقبله النظرة اللبرالية- أو عمومية- كما في النظرة الاشتراكية- أشارت إلى الملكية بمفهومها العام الملك.

ثم إن ما يتعلق بالاقتصاديات إما جانب تنظيمي يدور مع تنظيم العلاقات الاقتصادية فيما بين الناس يوحي إلى ذلك **الماعون** بمدلولها الزكوي.

وإما جانب عملي وهو إما ايجابي أو سلبي يشير إلى الجانب العملي الايجابي من الاقتصاد: **التكاثر والكوثر** فإن تكثير النماء الاقتصادي وازدياد المنتجات الاقتصادية بالربح وغيره من طرق التنمية من أكبر الأهداف الذي يسعى ويكدح له العامل الاقتصادي في نشاطاته الاقتصادية، كما أن تكاثر المال وكوثرته هو المحور الذي يدور ويحور في فلكه الغالبية العظمى من الشؤون والأعمال الاقتصادية.

كما يشير إلى الجانب العملي السلبي الذي يجدر لكل من يزاول عملا اقتصاديا أن يتجنب عنه المنتج من العمليات الاقتصادية **التغابن** من الغبن الذي هو عنوان على أهم المحذورات الاقتصادية الذي يتهرب عنه كل أرباب الأنشطة الاقتصادية ولذا يذكر كل عالم اقتصادي أهم ما يجنب عنه من القواعد والتدابير والسلوكيات الاقتصادية.

كما تشير التسمية إلى نوع آخر من الأعمال السلبية الاقتصادية التي لها آثار سيئة وأضرار فادحة في دنيا الاقتصاد والتي يعالجها شرار الخلق وخبثاء النفس والطبيعة ذلك العمل الخياني الذي يشمئز منها النفوس وينفر منها العقول والقلوب. ألا وهو التطفيف في ضمن **المطففين**.

وفي الجانب الآخر إن من المستحيل أن يستمر الاقتصاد علما وعملا وفلسفة بلا مواد اقتصادية تتقلب فيما بين الناس- ككونها كائنة لها الدور الأعظم في الاقتصاد- ولا يتأتى أيضا أن يبرز إلى الوجود بدونها عمل محوري يسمى عملا اقتصاديا ينبنى عليه قواعد الاقتصاد علما وفلسفة ويجري على ضوئه عملياته تطبيقا فنرى أن تسميات القرآن السورية لم تهمل ذلك الجانب أيضا فذكرت كنموذج على المواد الاقتصادية ما عساه أن يكون أهم مواده: **الحديد، المسد، البقرة، التين، الأنعام، النحل، الفيل، العاديات** وأظن أن لا يخفي عليك بعد ما سردنا- ما يوحي إليه كل من هذه الأسماء أيضا ككونها نموذجا على جنس من الأجناس التي كانت أهم المواد الاقتصادية عبر التاريخ.

الفرع التاسع التنظيم العسكري

إن أهم ما شغل الإنسانية طوال عمرها المديد هو الحرب بإيجابياته وسلبياته فالحرب حادث اجتماعي هام يحتل محلا هاما ومجالا واسعا في الاجتماعيات لا مناص من الصدود عنه ورميه إلى الوراء مهما كان من أمره ولم يخل عالم الإنسانية من الحروب يوما ما مهما كانت متطورة أو متخلفة، مرتقية أو متأخرة، متحضرة أو ابتدائية والحرب وان رؤى بمنظره الظاهري حدثا منفورا منكرا يترتب عليه سفك الدماء وكثرة الدمار وانتهاك الحقوق ولكن ربما يترتب عليه آثار حسنة أيضا من تحقيق العدل ورفع الظلم وإحقاق الحق وإبطال الباطل إذا غامر الحرب

عباد صالحون يعيشون للعدل والحق والهدى لا للجور والنفس والهوى، عباد ليس غرضهم من الحرب إرواء الغليل الاستعماري والسيطرة على منافع العباد ونهب الأعراض، بل الهدف المنشود لهم هو نشر الفضيلة وبث روح الخير والبر والعدل بين العباد و البلاد ونرى أن هذه الأمور هي الهدف الوحيد من مشروعية الجهاد في الإسلام وليس الهدف منه هو حمل الناس قسرا وقهرا على اعتناق عقيدة الإسلام وإلا فحينئذ لا معنى لقوله تعالى: **لا إكراه في الدين** و قوله تعالى: **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** وقوله تعالى: **لكم دينكم ولي دين** وآيات أخرى من هذا الباب مما يفيد أن لا إجبار على العقيدة في الإسلام وإلا فتكون تلك الآيات متناقضة مع مشروعية قسر الناس على عقيدة الإسلام.

نعم إن مشروعية الجهاد قضية مفروغة عنها فلا اعتداد بذلك الهراء الباطل[1] وخطل القول[2] من طرف البعض ولا بتشكيكاته حول مشروعية الجهاد ومحاولة جره إلى جانب آ خر غير مكانته الأصيلة ففي مآت الآيات رغب في الجهاد وأمر به منها:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ

---

١) الهراء: المنطق الفاسد لا نظام له.

٢) الخطل: الكلام الفاسد الكثير.

الْفَاسِقِينَ ﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[2] إلى آخر ما في الموضوع من الآيات.

ومن الأحاديث:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله أي النـــاس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله"[3]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثـــل الصـــائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه ســـالما مع اجر أو غنيمة"[4]

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتـــح " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا اســـتنفرتم فـــانفروا"[5] إلى آخر ما في الباب من الأحاديث.

---

١) التوبة، ٩/٢٤.

٢) الصف، ٦١/١٠-١٢.

٣) محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير/٢.

٤) نفس المصدر.

٥) البخاري، كتاب الجهاد/٢٧.

فيتحصل من جميع النصوص الموجودة حول الموضوع بكثرة أن الجهاد مشروع في الإسلام وثابت قطعا كتابا وسنة وإجماعا فهو من المعلوم بالدين ضرورة، ومشروعيته مفهومة عقلا وحكمة ومنطقا، ولكن كيفية الجهاد وتحديد وقته ومساحته وتعجيله وتأجيله ومع من يجاهد كل هؤلاء الأمور موكولة إلى رأي إمام المسلمين وشوراهم.

وليس معنى مشروعية الجهاد في الإسلام أن الحكومة الإسلامية مكلفة بإعلان الجهاد مهما كانت الظروف والأحوال. فليس من الحزم والحكمة أن تغامر الحكومة فيما لا قبل لها به و كذا من الحكمة بمعزل أن ترفض السلم وتصر على الحرب مهما كان الطرف المقابل طالبا للسلم وخصيصا في هذا العصر الذي ترك المضاربة بالسيوف محلها للمقاتلة بأسلحة الإبادة الجماعية من الطائرات والراجمات والصواريخ ذوات الرؤوس النووية وغيرها:

﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

أما الهدف من الجهاد الإسلامي فلا نطول الكلام فيه ولا نتدخل بعرض آرائنا فلنخل المجال للقرآن يفصح عن ذلك بكلماته النيرة الوضائة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾[3]، ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ

---

١) البقرة، ١٩٥/٢.

٢) الأنفال، ٦١/٨.

٣) الأنفال، ٣٩/٨.

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[1]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[2].

الحرب ككونه واقعا إنسانيا اجتماعيا يجعل أحد الفردين أو الجماعتين أو المجتمعين المتحاربين إما على شفا حفرة من الهلاك والدمار وإما على صعيد النصر والفتح فيكون للمتحاربين خياران لا ثالث لهما: إما الحياة بعزة والموت بعزة أو الحياة بذلة والموت بذلة فمن هنا تقتضي سياسة الحرب تنظيما هاما كي يجري فيه على مقتضى استراتيجية دقيقة حكيمة تذهب بالمرء والجماعة نحو الظفر والنصر وخصيصا إذا كان الحرب يجري لإحقاق الحق ورفع الظلم ومحق الباطل لا طمعا في ثروات الغير ووقوعا في أعراض الناس وكراماتهم وحرصا على ازدياد ميادين الاستعمار الجماعي فإن الحرب حينئذاك من أهم الوظائف الإنسانية ويجب على القائمين على ذاك الحرب أن يكونوا على أهبة تامة وعدة إنسانية بالغة واستعداد كامل كي لا يظفر الطرف الغاشم والجهة المعتدية.

انطلاقا من هذه الوجهة الرشيدة ترى القرآن الحكيم اهتم بالحرب انتصارا للحق وقمعا للباطل في عديد من آياته البينات فإن الواقع الإنساني هو أن الإنسان وإن تطور تطورا بالغا وتقدم تقدما

---

١) النساء، ٤/٧٥-٧٦.

٢) الأنفال، ٨/٧٣.

مدهشا في كثير من مجالات العلم والتفكير والمعرفة والتربية، وكذا وإن قطع أشواطا بعيدة ومسافات شاسعة - حسب مزاعمه- في ميادين الحريات والحقوق الإنسانية لكنه لم يخل يوما ما فيما مضى وليس خاليا في أي آن من الحاضر ولا يخلو فيما سيستقبل من تلك المظالم الذريعة الشنيعة والاعتداآت البشعة الفظيعة وانتهاك الكرامات الإنسانية والإهدار بحقوق الأبرياء خاصة والناس عامة في شتى المستويات وبين مختلف الأجناس وفي مختلف البلاد وسفح دماء ملايين العباد بحيث ان أعظم المجازر الجماعية والدمار الجماعي لم يكن إلا في القرن العشرين قرن التطور والتقدم! قرن حقوق الإنسان! فلذا سمى هذا العصر بعض الغربيين عصر الموت الأكبر كما أسلفنا. فإذًا إن نظرة القرآن للحرب تجاه الظلمة والمغتصبين نظرة صائبة إلى أقصى الحدود أخذا على يد الظالم وإنصافا منه للمظلوم كما بين ذلك الآيات السالفة وغيرها من الآيات العديدات وكما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "**لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوما فلينصره**"[1].

من هذا الاتجاه الحكيم أعطى القرآن محلا هاما للتنظيم العسكري في تسميات سوره - إلى جنب كثير من آياته- كي لا يهزل الحق فيكون ظافرا منصورا ولا يتقوى الباطل حتى يكون صائلا مغرورا. ونرى ذاك التنظيم عقلانيا موافقا للعقل وواقعيا يناسب الواقع مناسبة رصينة حيث

---

١) مسلم، البر/١٦.

ذكر: القتال (على إحدى الروايات الواردة في اسم سورة محمد كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك الاختلاف) رمزا لوجود ومشروعية الحرب في الاتجاه الإسلامي انطلاقا من الواقع الإنساني المر إذا اقتضاه الظروف والحالات الاجتماعية الطارئة. غير أن الاتجاه الحربي ليس الاتجاه الأصل الذي نلابسه - مهما كان الأمر- غلوا في الأرض واستكبارا واستغلالا لمنا فع الغير واستعمارا، بل الأمر في نظر الإسلام موقوف إلى درجة بالغة على موقف الغير منا سلما وحربا واعتداآ واعتدالا فإذا ليس المسلمون هم طلاب الحرب بحيث هم يبدءون به بادئ ذي بدء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

إن الإسلام ليس دين القسوة والعنف والشدة والوحشة والاستعمار والاستغلال حتى يكون الأهداف الحربية فيه الاستعمار والاستغلال أو الأساليب الحربية فيه الشدة والعنف والظلم بل هو دين الإنسانية والخير والرحمة والمساواة والعدل والشفقة وإحقاق الحق وإبطال الباطل. ومن ثم كان جميع أهدافه من الحرب والقتال والجهاد

---

١) البقرة، ٢/٢٠٨.

٢) الأنفال، ٨/٦١.

٣) التوبة، ٩/٧.

هو الأخذ على أيدي الظلمة والمنع من اعتداء المعتدين ورفع المظالم وإزاحة مواقع الفجور وتطهير الأرض من درن الرذائل ووسخ المنكرات ودنس الفحشاء من جانب ونشر الهدى والخير والفضيلة والعدالة بين بني الإنسان - مؤمنا كان أو مشركا صالحا كان أو طالحا برا كان أو فاجرا- من جانب آخر. كما يرى ذلك بوضوح وجلاء في ممارسات المسلمين للحروب وفي سيرتهم في البلاد التي فتحوها في معاملاتهم لأسرى الأعداء عبر التاريخ.[1]

ثم بعد هذا العرض المجمل وبعد ما رأينا الإشارة الإجمالية إلى الحرب ضمن التسمية المتقدمة نرى أن الفرقان الحكيم لم يكتف بهذا الإجمال بل ناول التنظيم العسكري في تسميات السور ضمن قضية التجمع للحرب في اسمين: **الأحزاب والصف** فإنهما- انطلاقا من المدلول القرآني لكليهما- توحيان بالتجمع للحرب: أولاهما تدل على التجمع

---

١) يستبين ذلك بوضوح وسطوع إذا ما ألقينا أدنى نظرة على ما تقيده كتب التاريخ من خطب حكام المسلمين حينما تولوا الإمارة على المسلمين (انظر محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٣٩-٣٤١، علي الطنطاوي، **رجال من التاريخ**، دار المنارة، الطبعة الثامنة، بيروت ١٩٩٠، ص ٧٨-٧٩) وحول أوامر خلفاء المسلمين لقواد وأمراء جنودهم بالرحمة وعدم الاعتداء على الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وعدم الإضرار بالبيئة وعدم إتلاف البهائم والحيوانات انظر محمد حميد الله، السابق، ص ٢٩٥، ٤٢٧-٤٣٦، ٤٤٢، ٤٥٨، ٤٦١، وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، **كتاب الخراج**، دار المعرفة بيروت بلا تاريخ، ص ١٣٨-١٤٩.

الضروري كأهبة لازمة قبل مباشرة الحرب وثانيتهما تدل على التجمع التنظيمي في شكل الصفوف حين مباشرة الحرب وهو كرمز على التنظيم والتنسيق والأهبة والاستعداد الاستراتيجي الضروري للحرب. كما أن **الأحزاب** رمز على الاستعداد في صورة التجمع الإنساني في شكل الفرقات والطابورات والوحدات العسكرية التي يعدها ويرتبها أرباب الخبرات العسكرية.

إن التجمع للحرب مهما كان كبيرا وكثيرا والعمل التنظيمي مهما كان متقنا ومحكما فسوف يبوء بالفشل والوبار إذا لم يرافقهما آليات الحرب ومعداته اللازمة فمن هنا نجد تسميات سور الفرقان الحكيم لم تهمل الإشارة في أسمائها إلى آليات الحرب ومعداته بذكر أهم الآليات التي يحتاج إليها الحرب وخصيصا حينئذاك : **العاديات** وهي الخيول التي تعدو إلى الحرب وعلى متنها المحارب المجاهد. **والفيل** التي كان لها أيضا مكانة كبيرة في تلك الحروب الطاحنة التي وقعت عبر التاريخ.

أظن أنه لا حاجة بنا إلى التعريف والبيان بما لعبه الخيل والفيل من الدور الكبير عبر التاريخ في الحروب. ثم إننا نرى أن هذين الاسمين رمزان على آلات الحرب فيدخل في ضمنهما جميع ما يُرى من معدات الحرب في القرن العشرين من الدبابات إلى الراجمات والطائرات القاذفة للقنابل و الصواريخ.

كما يصرح بذلك هذا البيان القرآني الجامع الذي يدل على أن المسلمين مكلفون باتخاذ جميع الوسائل التي تجعلهم على جانب من القوة والنصر والعزة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ﴾[1] مع أننا لا ننسى أن سيادة أية أمة ما وعزة جانبها لا تتيسر إلا بقوتها العسكرية والحربية إلى جانب قوة اقتصادها وبدون السيادة والقوة لا يمكن تحقيق العدل ومكافحة أي نوع من أنواع الظلم أبدا. وواقع دنيانا المعاصرة من أصدق الأدلة على ذلك.

والبيان القرآني في تسمياته الموحية للتنظيم العسكري لم يقف عند هذا الحد فذكر- إتماما لمشهد الحرب وللخطة المبدوءة من أولها كي ينتهي بآخرها- ما هو الهدف الأعظم من الحرب: **النصر والفتح** لأن جميع الأعمال الحربية تهدف النصر على الأعداء ثم فتح البلاد المطلوب من الحرب، كما ذكر ما يترتب على القتال كنتيجة للحرب أيضا وهو الغنائم: **الأنفال** فإن معنى الغنيمة يغلب في مدلول الأنفال على غالب الاحتمالات.[2]

فبهذا يكتمل المشهد ويتم الصورة الحربية مبدوءة بالقتال ومختومة بذكر الغنائم التي يظفر بها بعد النصر فيا لله! ما أحكم وأبدع البيان

---

١) الأنفال، ٨/٦٠.

٢) راجع الإصبهاني، **المفردات**، ص ٨٢٠.

القرآني ! إن من آياته البينات وإن من خلال أسماء سوره. ولله الحمد والمنة.

الفرع العاشر التنظيم التشريعي

إن قوة التشريع واكتمال جوانبه وإنسانية أهدافه وحكمة مناهجه وشمله لشتات الأمة ولئمه لصدعها بشير صدق وشاهد عدل على قوة البنيان الحضاري لتلك الأمة فالكيان التشريعي من أهم العوامل في تماسك البنيان الحضاري ودوامه وطول عمره لأنه هو الذي يتحرك به عجلة الأمة الاجتماعية ويتابع الكيان الاجتماعي مسيره به. وبدون تشريع عادل هادف لتحقيق الخير والسلام، ساهر على حفظ الحقوق والكرامات في الأمة، حارس على أمن البلاد وسلامة العباد لا يتقوى البنية الاجتماعية ولا يتكون مناعتها ضد الفساد واختلال الأحوال ويسري فيها ساري الفتن والاضطراب فيتآكل المجتمع بعضه بعضا إلى أن تنهار الحضارة يوما ما أو يسقط مفعولها عن إيفاء دورها الاجتماعي الكامل كما هو الحال الآن في الحضارة الإسلامية حيث سقط مفعوله عن إجراء دوره.

فالصلة بين الحضارة والتشريع صلة قوية متينة صلة حفاظ وحراسة وتأمين قوة ومناعة.

وقد أسلفنا فيما سبق أن من أهم المقاصد التي اهتم القرآن بها هو العدل وذلك إنما يتحقق بتقديم شرعة مكتملة الجوانب والمعالم،

شرعة هادفة إلى تحقيق الخير والبر والسلام والعدل والمساواة والطمأنينة والسكينة في الأوساط الإنسانية، شرعة تقصى كل أسباب الإثم والظلم والجور والفجور والفحش والجشع والبطر والاستبداد وسوء الأخلاق عن جميع قطاعات المجتمع- مسلما سواء كان المجتمع أم كافرا طيلة ما كانت خاضعة للنظام الإسلامي- وذلك لا يمكن إلا بأن تتكفل تلك الشرعة بسن كل ما لابد منه لتحقيق ذلك من القوانين وتشريع ما يتحتم من الفروض والواجبات وتقنين ما لابد منه من الأوامر والنواهي، وحظر ما يضر الفرد والمجتمع على المدى القريب و البعيد من المحرمات والمنهيات. وآيات الأحكام و الأخلاق أعدل شاهد على ذلك وهي جمة كثيرة فائتة عن الحصر في ضمن هذه الرسالة الموجزة.

إن شرعة الإسلام بما تتضمن من تلك القوانين والشرائع قطعت مسافات شاسعة في تحقيق أسمى المبادئ النيرة الخيرة في المجتمعات الإنسانية بما لا يمكن أن يضارعها أو يدانيها أو يلاحقها أو يجاريها في تحقيق أمثال تلك المبادئ ووضع أشباه تلك التعاليم الدول المعاصرة والمجتمعات الراقية. فمثلا إن ما حققته شرعة الإسلام في مبدأ المساواة لم تستطع أن تحققه في القرن العشرين تلك الدول المتطورة المتمدنة المترقية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية[1] رغما من أنها تزعم التمسك بمبدأ الديمقراطية المبنية على أساس الحرية (على ما يقال وإن لم نر لها

---

١) عبد الكريم زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، بيروت ١٩٨٨، ص ٣٥-٣٦.

إلى اليوم سوى حرية سب الدين وانتهاك المقدسات وحرية الدعارة والمجون والخلاعة وسوء الأخلاق وشرب الخمور والقمار وحرية الربا والرشا وحرية الظلم واغتيال الآخرين الذين ليسوا في اتجاههم الديمقراطي ومطاردتهم وتشريدهم من ديارهم فلجميع هذه المجالات الفاضلة(؟!!) الحريات متوفرة وطلاب هذه الأمور يتمتعون بما يشاءون ويفعلون ما يريدون ولا يتعرض لهم أحد لأن لهم حق الحرية! و في البلاد الديمقراطية سيادة الحقوق الإنسانية! وأما غير هؤلاء الفضلاء(؟!) من المتدينين المسلمين فمهما كانوا من الكثرة والصلاح أو من المعرفة والثقافة ومهما كانوا من البر والهدى والاستقامة والعدل فلا حرية ولا حق لهم. نعم هذا ما رأيناه من كمالات الديمقراطية! عبر العالم الإسلامي كله فحق لها وللقائمين عليها أن يفتخروا ويمتدحوا بما أهدوه للعالم الإنساني من هذا النظام الخير والبر العام ؟؟!).

الشريعة التي كلف الله عباده العمل بها تتناول جميع جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعبودية والسياسية والأخلاقية والعسكرية بتشريع قوانين وحدود لها إما مفصلا وإما مجملا[1] كل على حسب الحكمة. وقد أسلفنا فيما مضى الإشارة المندمجة في تسميات السور القرآنية إلى جل تلك الأمور. أما هنا ونحن على جناح السرعة فنشير إلى بقية من أسماء السور التي كان وجه الحكمة فيها فائضا

---

١) السابق، ص ٤٣.

واضحا مع ذكر ما يناسبها من تلك الأسماء التي قد مر بنا فيما سبق من المحاور.

ففي مجال التشريع رغم كثرة وسعة ميادينه نجد التسمية السورية سلكت طريقة قصيرة لكن شاملة فألقت الضوء على ما يمكن أن تكون نموذجا للباقي وكثفت السعي على تشريع العبادات لما لها من الأهمية القصوى في سعادتي المرء الدنيوية والأخروية، لأن العبادة مفتاح هام لامتثال أوامر الشرع الحنيف على المستوى الفردي ولأنها وسيلة لتحقيق سائر أحكام الشريعة بين مختلف قطاعات المجتمع على المستوى الدولي فمن اهتم بعباداته وأتى منها ما كان مكلفا به ضمن الحدود الشرعية كان إطاعته في سائر التشريعات أيسر نفسيا وعقليا واجتماعيا لما يجد المرء عندئذ في نفسه سائقا قويا على مراعاة سائر التشريعات لكونها آتية من طرف الحكيم الخبير الذي قوي إيمانه به بالعبادات واطمأن نفسه إلى رحمته وسكينته بالطاعات وجعل رضاه نصب عينيه بما يؤدي كل يوم مرات عديدات من الصلوات التي تترك في نفسه وعقليته آثارا إيجابية كبيرة كثيرة.

إن العبادات على ما هو معلوم تنقسم إلى بدني ومالي ومالي-بدني وانكفافي- تركي ففي مجال تشريع العبادات نجد أن كلا من الأقسام الأربع أخذت محلها في التسمية السورية:

ففي العبادات البدنية أكثر ما كان المؤمنون مكلفين به هو الصلاة من غير تفرقة بين فقير وغني وضعيف وقوي وشيخ وشاب وصحيح

وسقيم وأفضل أجزاء الصلاة لا جرم هو السجدة لدلالتها البالغة على التعظيم والخضوع لرب العالمين فهي قمة التعظيم والإجلال ونهاية الخشوع والابتهال فلهذا لا يجوز السجدة لغير الله على الإطلاق. بينما ترى أن بعضا آخر من أنواع التعظيم يجوز لغير الله أيضا. يشير إلى طرف من ذلك الحديث القائل: **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.**[1]

فالتسمية باسم **السجدة** إشارة إلى الصلاة التي هي أشمل العبادات البدنية وأدلها على ذلك الخضوع العميق الذي يستولي على جميع مشاعر العبد المصلي كما أنها أدل بما تشتمل عليه من جميع أنواع التعظيم والخضوع على عظمة ذلك الخالق الذي يعبد بها له.

كما أن اسم **الجمعة** إشارة إلى أهم الصلوات التي لها تأثير إيجابي كبير ومفعول عميق في كثير من نواحي الحياة الاجتماعية بجانب ما تحمل من معاني العبودية الجماعية التي يظهر فيها خضوع المجتمع بغالب من يحتوى عليه من الأفراد لله رب العالمين، يجمعهم مكان واحد ويظلهم سقف واحد و يؤمهم إمام واحد ويتجهون إلى اتجاه واحد ويثنون على رب واحد سبحانه ويذكرونه ويقدسونه بكلمات واحدة فيظهرون بذاك في صلاة الجمعة أتم معاني العبودية الجماعية الصافية لله الواحد الأحد، غير ناسين ما تحمله الجمعة من إظهار شوكة المسلمين أيضا وما تسبب فيه عند الجامعة الإسلامية من اعتزاز واطمئنان وثقة بمبادئ دينهم الحنيف وترشيد للآخرين أيضا إلى هذا الخير العميم والبر الكريم، إلى

---

١) مسلم، الصلاة/٤٢.

جانب ما تحصل الجمعة لدى المسلمين من جد وعزم أكثر في التمسك بما أمرهم به ربهم سواء بمضمون الخطب الملقاة فيها أم بما يحصله ذلك الجو الروحي من إخلاص ونشاط.

وفي العبادات المالية الزكاة ركن هام لها معاني جمة وافرة في إزاحة قلق المجتمع الناشئ من المشاكل الاقتصادية ومن ثم لها دور كبير في تحقيق الأمن الجماعي والسلام التام والثقة الراسخة الكاملة بين أفراد المجتمع كما أنها التأمين الاجتماعي الوحيد لفقراء الدولة الإسلامية وساحة خصبة لإيجاد ساحات العمل لهم حيث إذا ما طبق إعطاء الزكاة على الحدود الشرعية لا يبقى أحد من أبناء المجتمع بلا عمل[1] فمن هذا الدور الكبير لها كان جديرا أن يكون اسم بعض السور اسما دالا على الزكاة كما في **الماعون**.

وحول تشريع العبادات المالية والبدنية أخذت في التسمية مكانهما نوعان هامان منها لكل منهما دوره الهام في تحقيق العلاقات الوثيقة بين أفراد المجتمع والحفاظ على قوة الأمة ضد عدوها الخارج وهما: **الحج والقتال** كما أسلفنا بعض ما يتعلق بهما.

ومحور العبادات الانكفافية لا جرم هو ترك المعاصي والسيئات فان العباد كما كانوا مكلفين ببعض العبادات الإيجابية كذلك كانوا

---

١) فمثلا حسب بعض الجهات الزكاة في تركيا على الصورة التقريبية فوجد أن الزكاة الواجبة على الأثرياء في تركيا تقارب أو تنوف على ميزانية الدولة وخمن أنه لو أدي الزكاة وصرف على الوجه الشرعي لم يبق في تركيا فقير - رغم كثافة سكانها بما تقارب سبعين مليونا وكثرة الفقراء فيها- ضمن ثلاث أو أربع سنوات فقط.

مكلفين ببعض العبادات السلبية التي هي محض ترك الذنوب. لأن ترك الذنوب واجب يتحتم على كل أحد رعايته كما أن التوبة مما اقترف من المعاصي واجب على كل أحد حيث إذا أهملها المرء وقع في معصية أخرى من ناحية ترك الواجب الذي هو التوبة. والذنوب لاشمئزاز الطبع المؤمن منها لا يليق جعلها أسماء للسور لأن أسماء البعض الغالب منها لا تتناسب مع الأدب القرآني الرفيع حيث يكون في جعلها أسماء لإحدى السور القرآنية تنويه بذكرها وهو لا يناسب حكمة القرآن فالأفضل هنا بدل أن تجعل الذنوب اسما الإشارة إلى عنوان جامع لها والعنوان الجامع لها تلك العبادة المتحتمة على العبد بما اقترف منها وهو التوبة لأنه يجب على العبد التوبة عن جميع ما اقترف من المعاصي- كما أسلفنا- فجعلت **التوبة** كعنوان للعبادات السلبية اسما للسورة. والله أعلم

وفي التشريع المدني نجد أنه ذكر الطلاق كنموذج على سائر التشريعات المدنية لأنه أكثر ما يكون الناس مبتلين به كما أن في تشريع الطلاق رفعا لحرج أسري هام كان ثابتا في بعض المجتمعات النصرانية حيث كان الطلاق ممنوعا أبدا فكان المجتمع يعاني منه ما يعاني فناسب لكلا الأمرين جعل **الطلاق** اسما لسورة.

كما أن تسمية **التحريم** أيضا تحتل مكانا هاما في التشريع حيث تشير إلى أحد الركنين الأساسيين العظيمين في التشريع وهما الإيجاب والتحريم ولما أن التحريم متعلق بالمنهيات والنفس إليها أميل كان ذكره

في التسمية أوفق بوجه الحكمة تذكيرا للعباد بمدى ما يهتم المولى سبحانه بالتحريم كما يهتم بالإيجاب مع أن الإيجاب قد أخذ محله ضمنا فيما سبق من تشريع العبادات لأن كلها من الإيجابيات التي هي مقابل التحريم ومن الجانب الآخر إن في جعل أسماء المحرمات كالزنا واللواط والخمر والفحشاء والكذب مثلا أسماء للسور ثقلا على النفس بما ينفر منها الطبع ويشمئز حتى من التلفظ بها- كما سبق الإشارة إلى ذلك- فالإشارة الإجمالية إليها في صورة: **التحريم** أنسب بمحاسن القرآن وأليق بجماله والله أعلم.

ونظير ذلك في رعاية أسلوب القرآن لدقائق الأمور ولطائفها عبر بيانه المجيد مما ربما لا نلقي له بالا ولا نهتم به ما نجد أن القرآن لم ينادِ الكافرين والمنافقين بصفتي الكفر والنفاق أي بصيغة "يا أيها الكافرون" و "يا أيها المنافقون" مباشرة أبدا، بل وقع النداء لهما بصيغة "يا أيها الناس". وذلك كي يدل على أن صفتي الكفر والنفاق لا تحوزان من الكرامة ما تتأهلان به لخطاب الله سبحانه بل هما أخس وأرذل من أن يناديهم الله بهما. وأما ما وقع في سورة الكافرون فالله سبحانه لم يناديهم بها مباشرة بل أمر رسوله بذلك.

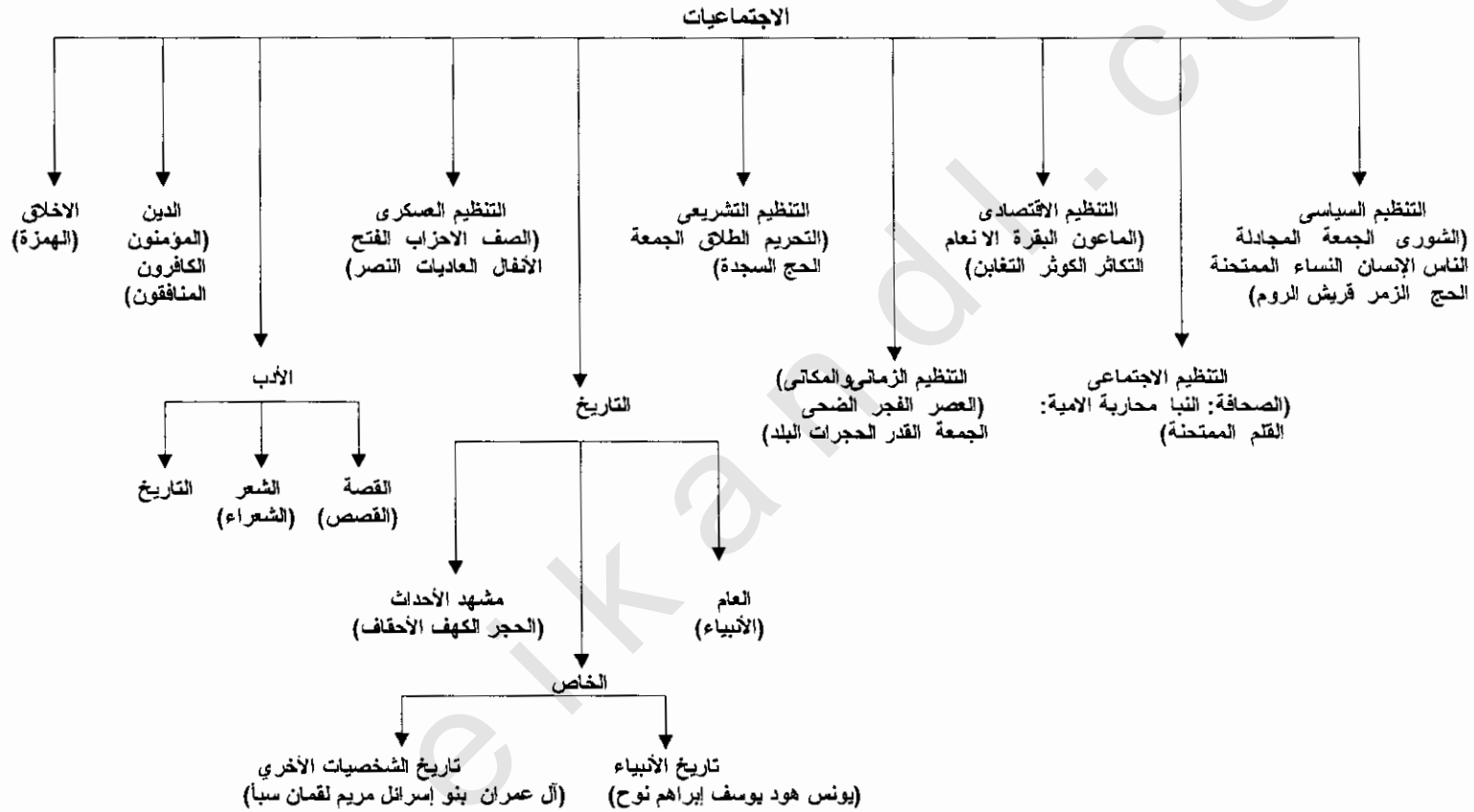

جدول: ٣ أسماء الصور التي فى محور الاجتماعيات

obeikandl.com

نتيجة في نظرة القرآن المعرفية

يستخلص من جميع ما مر معنا أن ما أتى به القرآن المجيد في صدد تشكيل بنيانه الحضاري مرتب ترتيبا فطريا متسلسلا حيث ان العباد المؤمنين بالقرآن مخاطبون أول الأمر قبل كل شيء **بالنظر** إلى الكون نظرة استدلالية عقلانية منطقية يستدرجون منها إلى:

النظرة المعرفية التوحيدية تلك النظرة المعرفية التي تأتي للإنسانية بآفاق جديدة وأبعاد عميقة في التعامل مع الدين والكون والإنسان والمجتمع.

ثم يستدرج منها إلى **الاستخلاف** الذي هو أهم المسؤوليات البشرية التي حملها الإنسان وأعظم الوظائف الإنسانية التي يتحقق بها العدل الرباني بجميع أبعاده.

ثم يستدرج من تلك الوظيفة الاستخلافية إلى **تسخير الكون** بما فيه من جميع الثروات ومواد الاستغلال لصالح بني الإنسان على الوجه النافع الصالح لجميع ذوات الحياة.

ثم يستدرج من تلك المحاولة التسخيرية كنتيجة طبيعية لها إلى **عمارة الأرض** فعلا على وجه تكون الكرة الأرضية معمورة صالحة لدوام الحياة على ظهرها، معمورة بالخير والهدى والأمن والصلاح، معمورة على وجه إحقاق الحق وإبطال الباطل وإزاحة جميع الرذائل و المنكرات.

وبذلك يتحقق على الوجه الأكمل أهم الأهداف القرآنية وهو

تحقيق العدل في جميع أنحاء العالم الذي ساد عليه السياسة القرآنية وفاز بنصيب غير منقوص منها.

وفي نتيجة كل هؤلاء الأمور المتسلسلة يستخلص إلى الهدف الأسمى والمقصد الأعلى من النزول القرآني وهو حفظ الكيان الإنساني بحفظ تلك الكليات الخمس: **النفس والعقل والمال والدين والعرض** إلى جنب تحقيق العبودية الكاملة لله سبحانه بين ربوع العالم.

استخلاصا مما مر يمكن لنا أن نركب المعادلة الحضارية القرآنية على هذه الصورة:

النظر في الكون ـــــــــــــــ> ثم المعرفة التي تتشكل في الإطار التوحيدي ـــــــــــــــ> ثم الاستخلاف ـــــــــــــــ> ثم التسخير ـــــــــــــــ> ثم عمارة الأرض ـــــــــــــــ> ثم تحقيق العدل ـــــــــــــــ> ومن ثم حفظ الكيان الإنساني بحفظ الكليات الخمس له وتحقيق العبودية الصادقة لله سبحانه.

خاتمة

إن القرآن المجيد نزل نبراسا للعالم كله يرشدهم إلى طرق الخير ومسالك الهدى في أمور الدين والدنيا والآخرة جميعا. ومن هنا نزل القرآن أول ما نزل حربا على الأمية والجهالة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1] وعالج إبان نزوله ثورات جذرية في كثير من جوانب وآفاق الحياة الإنسانية - تلك الحياة التي تعفنت وانتنت مذ أمد طويل تحت أوساخ الشرك وقتام الأساطير- من الفكر والمعرفة إلى الإدارة والسياسة فأخذ القرآن بيد الإنسانية كي يدلها على معالم الخير والهدى ومعاني الرحمة والبشرى وعالج عملا دؤوبا في تطبيب ومداواة ذاك الإنسان الذي كان على وشك الفناء تحت ضغوط الجهل والظلم ومعاول الاستبداد والهوان وغيرها من كل ما يصد الإنسانية عن سلوك طرق الكرامة والفضائل والكمالات الإنسانية.

فكالحجر الأساس لهذا العمل البنّاء في تشييد بناء الإنسانية من جديد وضع الإسلام التوحيد كأساس في خطته العملية من أول يوم ودل بالتوحيد الإنسانية وأطلعها على قراءة الكون قراءة تفيق بها إلى ما غاب عنها من رشدها وتنقذها مما ابتلى به من غيها وسفهها قراءة تسير بالإنسان إلى مختلف صحائف الكون بشتى الأساليب:

---

١) العلق، ٩٦/١-٥.

أولا بها يستدل على وجود خالق، مبدع، عليم، قدير. هذا الكون بجميع ما فيه من صنعه وخلقه أوجده بعلمه وقدرته،

ثانيا يهتدي بتلك القراءة التوحيدية الترشيدية إلى واجباته نحو خالقه ونفسه وأسرته ومجتمعه الذي يعيش فيه وسائر أبناء جلدته الذين يتعايش معهم حتى واجباته نحو بيئته وممتلكاته من الأموال والبهائم وغيرها. فليس جميع العبادات والآداب والأخلاق التي أصر الإسلام عليها إصرارا بالغا إلا لبيان منهج كيفية التعامل مع جميع من ذكر،

ثالثا يسترشد بتلك القراءة الواعية ويتجه بها نحو وظيفته الاستخلافية في عمارة الأرض،

رابعا تكون تلك القراءة الواعية نبراسا للإنسان كي يتبرأ بها من رذائل الجهل وخرافاته وكي يجلو بها عقله وقلبه وبصيرته عما ران عليها من أباطيل الشرك و أساطير الكفر.

خامسا بتلك القراءة المزدوجة من قراءة القرآن وقراءة الكون المتفاعلتين يؤسس توازنا كاملا ثابتا عميقا بين الروح والمادة فلا يطغى في مقاربته ومنظوره الإسلامي أي أحد منهما على الآخر ولا يتوجه إلى أي واحد منهما على حساب الآخر. فكما يتمتع بالابتهال والخضوع لله سبحانه بذلك الإشراق الروحي الذي يجد فيه مخلصا ومتنفسا من كثير من مشاكل ومتاعب الحياة المادية التي تبهظ على كاهل روحه كذلك يطمئن ويسعد حينما يسعى ويكدح لقضاء حوائجه واكتساب معيشته وعمارة أرضه امتثالا لأوامر ربه.

وبهذه النظرة التوحيدية والقراءة التنويرية والترشيدية في الكون فتح القرآن على العقل المسلم آفاقا جديدة فسيحة كل الفسحة في المعرفة والتفكير الإنساني وجعل من الإنسان الجهول البدائي الخرافي الأسطوري البربري الغاشم إنسانا عادلا مدنيا متحضرا منورا سالكا مسالك العلم والمعرفة شعاره التفكير وهدفه التنوير ووجهته الحق والصواب وغرضه تحقيق الحق وقمع الباطل مهما كان وفي يد من كان.

وجعل القرآن من ذاك الإنسان النفعي المستبد إنسانا عادلا يحكم بالشورى ويحترم الرأي العام شعاره الإيثار وهدفه تحقيق العدل والفضيلة والمرحمة وإحقاق الحق وإبطال الباطل فيما بين بني الإنسان فمن ذا ألقى القرآن إلى المحافل الإنسانية نظرته العالمية الشمولية حول الكون والإنسان والمجتمع وهي تتبلور بهذه الصورة الآتية :

التوحيد ومن ثم قراءة الإنسان للكون ومن ثم خلافة الإنسان وعمارة الأرض ومن ثم تحلى الإنسان بأقصى ما يمكن من معاني الخير والبر والفضيلة ومن ثم تحقيق الهدى والعدل والعبودية الصادقة لله سبحانه في الأرض.

هذه النظرة الشمولية للقرآن تبدو عيانا بالنظر في كتاب الله في كثير من مقاطعه المقدسة كما تبدو بإلقاء نظر متأمل دقيق على أسماء السور أيضا فنرى أن وضع أسماء السور مفروض على انعكاس النظرة القرآنية الشمولية منها لأن كلام ربنا الخبير لا يمكن أن يكون شيء من تلك الأمور الملابسة له من نقطه وحركاته وترتيب آياته و سوره ووضع

أسمائه وتحزيبه وتجزيئته إلى الأجزاء وغير ذلك من الأمور الملابسة لـه لا يمكن أن يكون شيء من ذلك بمحض صدفة عمياء من غير وجه حكمة فيها- كما أسلفنا-

فكما استنبط سلفنا الصالح رحمهم الله بين الآيات مع البون الشاسع بين جمهرتها نزولا ومكانا ومضمونا ومخاطبين مناسبات جمة يطمئن منها العقل وينشرح منها الصدر[1] فكذلك نجد أن أسماء السور تدل على نظرة القرآن العالمية الشمولية.ثم إن استنباط بعض اللطائف والمعاني والنكات من دلالات أسماء السور شيء ما كنت بدعا فيه فقد سبقني في ذلك فطاحل العلماء ترى أن بعض العلماء استنبط من اسم التغابن (انطلاقا من المعنى اللغوي) مع رقم السورة في ترتيب المصحف مناسبة مع وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يقول الآلوسي (ت ١٢٧٠) واستنبط بعضهم عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا و .ستين سنة من قوله تعالى في تلك السورة (المنافقون التي قبل هذه السورة) ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها فإنها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها سبحانه بالتغابن ليظهر التغابن في فقده عليه الصلاة و

---

١) إن المفسرين القدامى رحمهم الله تعالى والحديثين بذلوا جهودا وفيرة مشكورة نحو استنباط المناسبات بين آي القرآن فمن القدامى الزمخشري والرازي والبيضاوي وأبو السعود والآلوسي ومن الحديثين القاسمي وابن عاشور خير مثال على ذلك كما نجد ثلة من العلماء خصصوا أعمالهم لاستنباط المناسبات بين الآيات وخير مثال على ذلك برهان الدين البقاعي المتوفى ٨٥٢هـ. في تفسيره القيم نظم الدرر في مناسبات الآيات والسور.

السلام[1]. وكذلك لا تفقد بين المعاصرين أيضا من يستنبط ذلك[2]. فإن وفقنا فيما سبق بعض الشيء حول الإبانة عن نظرة القرآن العالمية الشمولية من خلال أسماء سوره فبمن الله وفضله- وإلا فمن نفسنا.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحم أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا حاولنا جهدنا -ولم نأل- أن نعرب عن شيء من محاسن كتابك فإن وافق رضاك فتقبله مني قبولا حسنا وأنبته عندك نباتا حسنا وتقبله في مصاف خدمات كتابك العزيز واجعله في كتاب حسناتي وفي كتاب حسنات والدي وأهلي وأولادي وإخوتي وأخواتي وأقاربي وأحبائي وكل من علمني ورباني وكان وسيلة لرشادي فإنك أنت الكريم المنان والجواد الوهاب. والحمد لله أولا وآخرا على ذلك وبنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

١) الآلوسي، ج ٢٨ ص ١١٩.

٢) انظر مثلاً عماد الدين خليل, مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم, مؤسسة الرسالة, الطبعة الثانية, بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م, ص ٢١٩، ٢٢٠. ومراد هوفمان, الإسلام كبديل, تعريب غريب محمد غريب, مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٦٣، ١٦٦. هذا إلى جانب ما نقلنا سلفاً من محمود عايد الرشدان وعلي شريعتي.

المراجع العربية

القرآن الكريم

أحمد القديدي، **الإسلام وصراع الحضارات**، سلسلة كتاب الأمة، الطبعة الأولى، قطر ١٤١٥.

أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**، المكتبة الإسلامية، إستانبول، بلا تاريخ.

إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد القادر العطار، الطبعة الثالثة، بيروت ١٤٠٤.

إسماعيل راجي الفاروقي - لويس لمياء الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٩/١٩٩٨.

إسماعيل بن كثير أبي الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩.

البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨.

الحسين بن محمد راغب الإصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، دار القلم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢.

الفضل بن الحسن الطبرسي، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٦.

جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٨

حيدر عبد الكريم الغدير، **المسلمون والبديل الحضاري** سلسلة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية ١٤١٢-١٩٩٢.

obeikandl.com

زغلول راغب النجار، **أزمة التعليم المعاصر**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٦.

سعيد بديع الزمان النورسي، **رجتة العلماء**، مطبعة النور أنقره ١٩٥٨.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، بيروت ١٩٨٦.

طاهر الجزائري، **التبيان لبعض المسائل المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتقان**، دار البشائر، الطبعة الثالثة، بيروت ١٤١٢.

طه جابر العلواني، مدخل **كيف نتعامل مع القرآن** لمحمد الغزالي، الطبعة الأولى، فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩١.

عاليا عزت بغوفيتش، **البيان الإسلامي**، ترجمة أبو زيد المقرئ الإدريسي، منشورات الراية، الطبعة الأولى، الرباط ١٩٩٤.

الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة صالح شعبان التركية، نشر دار النهر، إستانبول بلا تاريخ.

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي **الإتقان في علوم القرآن**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، مصر ١٩٧٨.

تناسق الدرر في تناسب السور، **تحقيق عبد الله محمد الدويش**، عالم الكتب، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٧.

الدر المنثور في التفسير المأثور، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣.

عبد الكريم زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، الطبعة العاشرة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٨.

عبد الله القاضي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، هامش حاشية شيخزاده، إستانبول ١٩٨١.

عبد الله بن أحمد أبو البركات النسفي، **مدارك التنزيل ومعالم التأويل**، دار قهرمان، إستانبول ١٩٨٤.

عبد المجيد العبد، **دور الشباب في بناء الأمة والحضارة وكيف نعنى به**، بحث نشر في أبحاث اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي باسم الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

عدنان زرزور تقديم من **روائع حضارتنا** لمصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت بلا تاريخ.

عدنان محمد زرزور، **علوم القرآن**، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٩١.

علي أبي الحسن الندوي، **ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، تحقيق مصطفى الندوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

علي الخازن بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٦٤.

علي الطنطاوي، **رجال من التاريخ**، دار المنارة، الطبعة الثامنة، بيروت ١٩٩٠.

عمر عبيد حسنة، تقديم **روح الحضارة الإسلامية** لأبن عاشور، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، فيرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢.

فكري أحمد نعمان، **النظرية الاقتصادية في الإسلام**.

مالك بن نبي، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الطبعة الخامسة، دمشق ١٩٨٩.

محسن عبد الحميد، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**، دار المنارة، الطبعة الاولى، جدة، بلا تاريخ.

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، **الجامع الصحيح**، دار السلام للنشر، الطبعة الأولى، فرنسا ١٤٢٠/١٩٩٩.

محمد أبو عبد الله القرطبي الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦.

محمد أبي حاتم ابن حبان البستي، **الصحيح**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين أسد، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤.

محمد أسد، **الإسلام على مفترق الطريق**، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧.

الطريق إلى الإسلام، ترجمة عفيف البعلبكي، مكتبة العبيكان، الطبعة التاسعة، الرياض ١٤١٨.

محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، تونس ١٩٨٤.

محمد الفاضل بن عاشور، **روح الحضارة الإسلامية**، الطبعة الأولى، الولايات المتحدة الأمريكية، هيرندن- فيرجينيا ١٩٩٢.

محمد بدر الدين الزركشي بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، عيسى البابي الحلبي الطبعة الرابعة.

محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨.

محمد بن عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٠.

محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٤.

محمد بن محمد أبو شهبة، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢.

محمد بن مصلح الدين شيخزاده القونوي **الحاشية على تفسيرالقاضي**، مكتبة الحقيقة إستانبول ١٩٩١.

محمد بن مكرم بن منظور ابى الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت بلا تاريخ.

محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، **السنن**، دار السلام للنشر، الطبعة الأولى، فرنسا ١٤٢٠/١٩٩٩.

محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، بيروت ١٤٠٦.

محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، دار الفكر الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٨.

محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة إسماعليان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.

محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٨٥.

محمد خليل جيجك، **ثراء المعنى في القرآن الكريم**، دار السلام القاهرة ١٩٩٨

محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، دار الفكر الطبعة الثانية.

محمد سعيد رمضان البوطى، **منهج الحضارة الانسانية في القرآن**، دار الفكر، دمشق ١٤٠٥.

محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن**، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨.

محمد شمس الدين بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناووط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٢/١٩٨٢.

openkanal.com

محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

محمد فؤاد عبد الباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة دارالكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤.

محمد فتحي عثمان، **القيم الحضارية في رسالة الإسلام** الدار السعودية للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٥.

محمود أبي القاسم جار الله الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، مصر ١٣٩٢-١٩٦٢.

محمود شهاب الدين الآلوسى، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥.

محمود عايد الرشدان، **حول النظام المعرفي في القرآن الكريم**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد العاشر، خريف، ١٩٩٧ Maryland USA.

محمود محمد سفر، **دراسة في البناء الحضاري**، من سلسلة كتاب الأمة ينشرها رآسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى.

مراد هوفمان، **إلاسلام كبديل**، ترجمة غريب محمد غريب، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤١٨.

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، **الجامع الصحيح**، دار السلام للنشر، الطبعة الأولى، فرنسا ١٤٢٠/١٩٩٩.

نديم الجسر: **قصة القرآن بين العلم والفلسفة والقرآن**.، بلا تاريخ ولامحل طباعة.

يعقوب أبو يوسف بن إبراهيم، **كتاب الخراج**، دار المعرفة بيروت بلا تاريخ.

المراجع الأجنبية

Ali Şeriati Kur'ana Bask Çev. Ali Seyyidoğlu Fecir yay. Ankara 1992

Arnold Tonby Medeniyet Yarglanyor (Türkç. Ufuk Uyan) Yeryüzü yay. İstn. trz.

İbrahim Erol Kozakç İbni Haldun'e Göre İnsan-Toplum-İktisat Pnar yay. İstn. trz.

İbrahim Özdemir- Münir Yüksel Çevre Sorunlar ve İslam DİB. yay. Ankara 1995.

Roger Garaudy A.B.D. Çöküün Öncüsü (Türkç. Cemal Aydn) Nehir yay. İstn. 1997.

Entegrizim Türkçe çev. Kamil Bilgin Çileçöp Pnar yay. İst. 1993

İslam ve İnsanlğn Geleceği (Türkç. Cemal Aydn) Pnar yay. İkinci bas. İstn. 1991.

Said Nursi Mektubat Yeni Asya yay. İstn. 1996.

Sözler Envar ne. İstn. 1993.

Will Durant Medeniyetin Temelleri Türkç. Nejat Muallimoğlu Birleik yay. İst. 1996

obeikandl.com